الجدية فى الالتزام

جمع وترتيب

محمد حسين يعقوب

دار التقوى

مكتبة
سوق الآخرة



الجزئية في الالتزام

رقم الإيداع : ١٥٨٨١/ ٢٠٠٠

مكتبة دار التقوى

سوق الآخرة بالمعتمدية
٠١٠١٦٥٧١٧٣
٣٢٨٧١٨٩

شبرا الخيمة
٢٢٣١١٠٣
٤٧٣١٨٢٤
٤٧١٥٥٠٦

نداء إلى شباب الصحوة ...

الجِدِّيَّةُ في الالتزام

لفضيلة الشيخ

محمد بن حسين يعقوب

طبعة جديدة منقحة ومزيدة


بسم الله الرحمن الرحيم
موقع الربانية
www.yaqob.com

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المحمود هو الله ﷻ والمصلى والمسلم عليه محمد وآله .

رب يسر وأعن وتمم بخير يا كريم

أما بعد

فهذه هي الرسالة الأولى لمكتبة «سوق الآخرة بالمعتمدية» بعد عودة المكتبة من غياب طويل أغلقت فيه أبوابها سنين .

عود حميد ونسأل الله أن يستعملنا لنصرة الدين وأن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم وإنه لفأل حسن أن تكون بداية العودة «الجدية» عسى أن تكون هذه العودة بجدية .

ومن المعلوم أن هذه الرسالة سبق طبعها قبل ذلك مرتين ولكنها طبعة مليئة بالأخطاء، وكان الناشر السابق - غفر الله وجزاه كل خير - قد تولىٰ طبعها بعد تفريغها من الأشرطة مباشرة فتم في هذه الفترة عرضها علىٰ الشيخ جزاه الله خيرًا فتم تنقيحها وتصحيح كثير من عباراتها وأيضًا حصلت فيها زيادات مهمة منها: أنه زادت مظاهر عدم الالتزام من ثلاث إلىٰ ست وزاد أيضًا عنصر في نهاية الموضوع بعنوان: «علاج عدم الجدية أو حقيقة الجدية في الالتزام» وهو مهم كما ترىٰ من العنوان ولذلك تضاعف - أو كاد - حجم الرسالة.

وهذه الرسالة غاية في الأهمية وذلك في هذا العصر الذي عاد الإسلام فيه غريبًا وصرنا نعاني من الالتزام الهش والالتزام الأجوف والالتزام الأبتر في كثير من الملتزمين، فلعل الله ينفع بهذه الرسالة فنرىٰ أثرها بين

الملتزمين التزامًا حقيقيًا بالدين يذكرنا بسلف الأمة الماضين رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم ها هي الرسالة باكورة إنتاجنا بين يديك نسأل الله أن ينفع بها قارئها وناشرها ومؤلفها وأن يجعلها فاتحة خير وبركة علينا وعلى المسلمين وأن يتقبل منا أعمالنا ويثقل بها موازيننا يوم نلقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكتبة

سوق الآخرة بالمعتمدية


موقع الربانية
www.yaqob.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للَّه تعالىٰ نَحْمدُهُ، ونَسْتعينُهُ ونَسْتَغفرُهُ، ونَعُوذُ باللَّهِ تعالىٰ من شُرورِ أنْفُسِنَا ومن سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يهدِهِ اللَّهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهدُ أَنْ لا إله إلا اللَّه وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أخي في الله ...

فهذه رسالة مهداة إليك في زمان لا ينصح الناس فيه ولا ينتصحون، ولا بمن مات يعتبرون، وهم في كل يوم يرذلون، وقد قيل: إن أخاك من نصحك في دينك وبصرك عيوبك، وعدوك من غرك ومنّاك.

اعلم يا أخي: أن كثيرًا ممن إذا نصحته اعتذر بشبابه وغره طول الأمل، وقد يأتيه الموت فجأة ومرده إلى الله، فإما إلى جنة وإما إلى نار.

فلو أنَّا إذا مِتْنا تُرِكْنا　　لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ
ولكنَّا إذا مِتْنا بُعِثْنا　　ونُسألُ بعدَهُ عنْ كلِّ شَيْءِ

ومن هنا يا أخي كانت هذه الرسالة «**الجدية في الالتزام**»، فكم من ملتزم في الظاهر ولكنه غارق في

طلب الدنيا، منهمك في تحصيل لذاتها وقد نسي الآخرة، ونسي أن الله اختاره دون سواه من الخلق لتبليغ دين رب العالمين إلىٰ كل الناس ونشره في كل بقاع الأرض، وللدعوة أعباء ولابد من التمحيص.

والأخ الملتزم في هذا الزمان ليس بالخلق الحقير بل هو دعامة المجتمع كله، وكَّله الله ببناء الشعوب وإنشاء الأمم، فالناس ينظرون إليه علىٰ أنه رمز الدين وراية الإسلام.

فلابد له من صفات يتصف بها وسمات يتميز بها عن غيره؛ لأن الله أمره بالجدية في الإسلام فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، فالأمر ليس هزلًا.

اليوم ترىٰ سمات الصالحين في الظاهر ولكن علىٰ قلوب وعقول فارغة، وأنا آسف إن قلت هذا ولكن هذا هو الواقع المرير، هذا هو واقع الأمة فلابد من

تصحيحه ؛ ولابد من المصارحة والمناصحة لسد الثغرات وإصلاح العيوب قبل أن تكون فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة ؛ ولأنه عار علينا ووصمة للدعوة ؛ حيث إنه بدأت تظهر أمور لا تمتُّ للإسلام بصلة في المعاملات ؛ من أكل أموال الناس بالباطل ، والمشاكل الأسرية ، والطلاق ، وأيضًا الأولاد الذين كنا نعقد عليهم آمالنا ؛ أولاد الملتزمين ، أولاد المشايخ والإخوة الذين لم يعرفوا الجاهلية التي مر بها آباؤهم ، فوجدنا كثيرًا منهم وللأسف أسوأ من أبيه ، فعرفنا السر في ذلك : أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فلابد أن نربيَ أبًا ليربي لنا ابنًا صالحًا .

إذًا فلابد من وقفة للتصحيح ، لابد من ضبط مواقع الأقدام قبل أن تزل بنا في جهنم ، قال تعالى : ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤] .

أسأل الله أن يهدي بهذه الرسالة خلقًا كثيرًا من عباده الغافلين، وأن يجعل فيها عونًا لعباده الصالحين المشتاقين، وأن يثقل بها يوم الحساب ميزاني، ويجعلها من الأعمال التي لا ينقطع عني نفعها بعد أن أدرج في أكفاني، وأسأل كل من انتفع بشيء منها أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين، وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه/ محمد بن حسين يعقوب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجدية في الالتزام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كلام الله تعالىٰ، وإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إخوتي في الله...

أولًا: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني أحبكم في

الله ، وأسأل الله ﷻ أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، اللهم اجعل عملنا كله صالحًا ، واجعله لوجهك خالصًا ، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئًا .

ثانيًا : أود أن تكون هذه الرسالة التي بين أيديكم بمثابة حوار . . . نعم حوار . . . حوار هادئ . . . حوار حر . . حوار صريح نصارح فيه أنفسنا . . لا نخادعها ، ونحاول من خلال هذا الحوار أن نشخص الداء – داء الأمة الإسلامية – أين يكمن . . . وما هو العلاج ؟

أهتجء فجء الله ...

كثيرًا ما نسأل وما يزال السؤال مطروحًا إلى الآن ، لماذا دبَّ الوهن فينا ؟

لماذا لا يعتقد أي منَّا أنه أهل لأن يمكن له ؟

لماذا انتكس من انتكس ، لماذا تولى من تولى ؟

لماذا صرنا إلىٰ نقصان بعد أن كنا في زيادة؟

إنها أسئلة تحتاج إلىٰ إجابة صريحة واضحة لنجد حلًا، أتدرون لماذا؟.. إنه داء الفتور في الالتزام.. هذه هي الإجابة، وقد يجيب بعض الناس عن تلك الأسئلة بأمور أخر، ولكن؛ خلاصة الكلام ونهاية المطاف أن السبب الحقيقي هو فتور الحماس للدين، وانطفاء جذوة الإيمان في القلب وتحول العبادات إلىٰ عادات.

أخي في الله...

يا من يقرأ هذه الرسالة، سأطرح عليك سؤالًا آخر، وأريد الإجابة عليه الآن.

هل كنت تحفظ القرآن ثم تركت؟!

هل كنت تقوم الليل ثم نمت؟!

هل كنت ممن يطلب العلم ثم فترت؟!

هل كنت ممن يعمل في الدعوة ثم تكاسلت ! أجبني بالله عليك . . . هل أنت منهم ؟

فإذا كنت منهم فأدرك نفسك فأنت على خطر عظيم ، وإذا لم تكن منهم فاحمد الله على العافية ، ولكن اعلم أن هذا واقع مرير يمر به كثير من شباب الأمة ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، وتمام العافية ، ودوام العافية ، والشكر على العافية .

نعم ؛ واقع مرير والسبب في ذلك هو داء الفتور في الالتزام .

فكم من أعمال بدأت ولم تتم بسبب مرض الفتور ! !

وكم من أعمال بمجرد أن بدأت ماتت وانتهت ، وهي ما زالت مشروعات على الأوراق !

وكم من أناس ما زال الفتور بهم ، وتقديم التنازلات

حتىٰ وصل إلىٰ ترك الدين بالكلية ، والبعد عن الدين بالمرة ، ونسيان الله بالجملة .

كم من أناس هم موتىٰ اليوم ، وهم لا يشعرون ، ولا يعلمون هل هم أحياء أم ميتون؟!!. نسأل الله أن يحيي قلوبنا؟

أخي ، أتابع الحوار معك وأسألك سؤالاً أخيرًا . أتدري لماذا غزا الفتور قلبك وهزم عملك؟

لأنك فقدت الجدية فيه ، ومن هنا جاءت ، رسالتنا هذه وهي تحمل هذا العنوان «**الجدية في الالتزام**»

فإنَّ أكبر سبب من أسباب الفتور هو فقدان الجدية .

نعم ؛ الجدية في الالتزام هي أولىٰ مراحل الالتزام المثمر ، الالتزام المشرق الذي ينتج عنه صحوة إسلامية تكون سببًا في إعادة الخلافة الراشدة إلىٰ ديار الإسلام – نسأل الله أن يقر أعيننا بها ، وصدق من قال :

من كانت له بداية محرقة كانت له نهاية مشرقة .

فأنت ترىٰ الجدية واضحة عند كثير من المسلمين في طلب الدنيا ، فهو إذا افتتح مصنعًا أو شركة أو دكانًا أو نحو ذلك فإنه يبذل أقصىٰ جهده ، ويستولي هذا العمل علىٰ وقته ليلًا ونهارًا ، يستولي عمله علىٰ كل عقله وعلىٰ كل قوّته ، وكل تفكيره ، وكل إمكانياته ، فهو يعيش وينام لهذا العمل الدنيوي .

أما أهل الفتور ففي الخذلان والكسل والتواني ، والإخلاد إلىٰ الأرض ، والرغبة في الدعة والراحة .

إنني - والله - أتعجب من لاعبي الكرة وهم يبذلون جهدهم وطاقتهم إخلاصًا للكرة !! وهؤلاء الممثلون انظر إليهم وهم يعيدون المشهد مرة واثنتين ؛ بل قد يكون عشر مرات إخلاصًا للتمثيل ، وكذلك المطربون والمغنُّون إخلاصًا للموسيقىٰ ، وللأسف نفقد هذا الإخلاص عند بعض الملتزمين بشريعة رب العالمين . . . أمر عجيب . . . أمر مخجل .

وصدق عمر : عجبت لجلد الفاجر وعجز المؤمن .

نعم والله ؛ مخجل أن تجد من يجب عليهم أن يعملوا لأجل جنة عرضها السموات والأرض متكاسلون فاترون ، وللأسف الشديد إنَّ أحدنا ليستحي عندما يرىٰ لاعب كرة يتدرب ليل نهار ، ويلعب ليل نهار ، من أجل حطام الدنيا الفاني . . . للأسف الشديد إنَّ أي طالب في الثانوية العامة ليبذل جهدًا أضعاف أضعاف أي طالب علم يطلب العلم الشرعي . . . أليس الأمر كذلك أم أنَّ هذا الكلام غير واقعي ؟! سامحوني .

ياشباب الإسلام ...

إنه واقع مرير يستوجب منا وقفات ، لماذا يدب الوهن في قلوبنا ؟ لماذا تفتر سريعًا عزائمنا ؟ لماذا يولي بعضنا الأدبار عند أول صدمة ؟!!

والجواب : لأننا أخذنا ديننا بضعف ، فكانت هذه هي النتيجة .

احتراف الدين:

ضاع الدين لأن كثيرًا من شباب المسلمين حملوا هذا الدين هواية، كهواية جمع طوابع البريد، وهواية المراسلة، وهواية لعب الكرة، هواية جمع الأشرطة، هواية الحضور لبعض المشايخ المشهورين، هواية اقتناء المجلدات المذهبة، هواية... هواية فقط، فدخل الدين هواية، ونحن نواجه ملحدين محترفين، نواجه كفارًا محترفين، ولا يمكن للهواة أن يقفوا في وجه هؤلاء الحواة، ولقد كانت لي محاضرة قديمة بعنوان «بين سحر الحواة ولعب الهواة ضياع الدين»

نعم؛ يضيع الدين؛ لأن المعركة بين شباب هواة وسحرة حواة، إذًا؛ إذا أردنا الانتصار في هذه المعركة فلابد - إخوتاه - من احتراف الدين.

إنني لا أطلب منك أن تترك دراسة الهندسة، ولا الطب، ولا الزراعة لتطلب العلم الشرعي...

لا أطالبك بشيء من هذا . . . . وإنما أطالبك أن تكون مهندسًا محترفًا في أعمال الهندسة ، بل متقنًا لها ثم تخضعها للدعوة إلىٰ الله ولخدمة الدين .

ولنضرب مثالًا لأهمية ذلك : انظر إلىٰ تصميم المساجد في العصر الحديث تجده مثلًا علىٰ غير القبلة ، أو الأعمدة في منتصف صفوف المصلين ، أو يصمم علىٰ أنه «فيلًا» أو بيت للسكنىٰ .

تجد حجرة للإمام من المسجد ، وأيضًا حجرة لعمال المسجد ، وحجرة ثالثة لأدوات نظافة المسجد وهكذا حتىٰ لا يتبقىٰ إلا مكان صغير ضيق لا يكفي المصلين .

إننا نريد المهندس المسلم الذي يدخل المسجد فيفكر وينظر ويدبر ويخطط بالعقلية الهندسية ، كيف يوفر أكبر مساحة للصلاة ولا يضيع سنتيمترًا واحدًا علىٰ المسلمين .

وكذلك في تصميم بيوت المسلمين .

هذا فضلًا عن أن نجد مهندسًا من المتقين الذين بعقليتهم الهندسية يهندسون طريق الوصول إلىٰ اللَّه تعالىٰ ، أما مهندس من أهل الدنيا فسيكون ما ترىٰ : من لا يتقي اللَّه في البناء ؛ فيغش مواد البناء ويسرق ويرتشي .

والنتيجة : إنهيار العمارات ، وزهوق أرواح الأبرياء .

إذًا فنحن في حاجة إلىٰ المسلم المهندس .

نعم أخي ، أطالبك أن تكون طبيبًا ؛ ولكنك احترفت الطب لخدمة الدين ، فلا تطلع علىٰ عورات المسلمين بغير داع ، ولا تأمرهم بالتداوي بالمخدرات والمسكرات ؛ بل تعلمهم أن اللَّه ما جعل دواءً في محرم ، وأن الشفاء من عند اللَّه وما هي إلا أسباب .

أطالبك أن تكون تاجرًا ؛ ولكن عبَدتَ المال لخدمة

رب العالمين ، فلا تغش ولا تحتكر ولا تروج سلعتك بالحلِفِ الكاذب .

أخي من أنت؟

أخي في اللّه ، أسألك سؤالًا واضحًا صريحًا يحتاج إلىٰ إجابة قاطعة : من أنت؟

فلا تجبني وتقل : دكتور فلان ، مهندس فلان ، أستاذ فلان ، شيخ فلان ، أقول لك : ليس عن هذا أسألك ، ولكني أسألك : **ما اسمك عند رب العالمين؟** . . . فبم تجيب؟

قل لي أخي ، من أنت؟!! هل أنت فلان الكذاب ، أو الغشاش ، أو المرائي ، أو المنافق ، أو . . أو . . ؟! .

أم أنت فلان المؤمن ، أو الموحد ، أو القوّام ، أو الصوّام ، أو القائم بالقسط ، أو الذكّار ، أو الصدّيق ، . . . آهٍ . . . آه . . . ، من أنت؟!

أجبني أخي الآن، قبل أن تُنَبَّأ به غدًا على رءوس الأشهاد، يوم تبلى السرائر، يوم الفضيحة الكبرى، فلا أبأسَ ولا أشقى ولا أذلّ منك يومئذٍ.

أخي في الله ...

أريد أن أسألك: **ما هي وظيفتك عند الله؟!!**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] خلقك الله تعالى له؛ لعبادته وحده، لتكون وظيفتك الوحيدة (عبد).

لكن مع شديد الأسف، إن أكثرنا اليوم يعمل لحساب نفسه، ونسي الله الذي خلقه، ما هي وظيفتك في خُدَّام الله؟!

إن قلت لي: لا شيء، فأنت أيضًا لا شيء، فإن لم يكن لك وظيفة عند ربك فلا نفع لك في هذه الدنيا، ولا قيمة لك عند الله، فإنما قيمة العبد عند الله حين

يُعظِّم العبدُ اللَّهَ ، فَيَعْظُمُ اللَّه في قلبه ، وإذا عَظُمَ اللَّه في قلبك فأبدًا لا تطيق ولا تستطيع أن تجلس فارغًا هكذا دون أن تدعو إلىٰ طريق مولاك .

أخي الحبيب ...

لا تخادع نفسك ، فأنت علىٰ نفسك بصير ، لا تقل : كنت . . . ، وكان . . . ، وسوف . . . ، فإنها حبائل الشيطان ، بل سل نفسك بصدق وفي الحال : **من أنا عند اللَّه ؟!**

قال رسول اللَّه ﷺ : **«إن الرجل ليصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند اللَّه صديقًا ، وإن الرجل ليكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند اللَّه كذابًا»**[1] فلكل عبد اسم يكتب به عند اللَّه تعالىٰ ، فما اسمك عند اللَّه يا عبد اللَّه ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٧) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه .

فإن أدركت أنك في الحضيض ، فقل لنفسك : وحتَّىٰ متَىٰ ؟! فإن تسرب إليك هاتف من يأس فذكرها بالله الرحيم ، فإن تعلقت بالرحمة ولم تعمل فهذا عين الغرور ، فمن يحسن الظن بالله يحسن العمل ، وما مآل المغترين إلا إلىٰ أن يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون .

وإن كنت علىٰ خير فإياك أولًا أن تغتر أو تعجب بل سل نفسك حينئذ : أين شكر النعم ؟! وهل ما أنا فيه استدراج ؟ ومدار النجاة في أن تكون دائمًا في زيادة ، فإن كنت في نقصان فهنا البلية الكبرىٰ ؛ لأن الموت قد يَفْجَؤكَ علىٰ هذه الحالة ، وما زلت أنت تذكر ليلة قمتها ، ويومًا بعيدًا صمته ، وترتكن علىٰ أعمال هزيلة لا تغني عنك من الله شيئًا ، فما عساك تصنع حينها ؟

قال ابن مسعود : «إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ،

فمن زرع خيرًا فيوشك أن يحصد رغبته ، ومن زرع شرًّا فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له » .

أخي ...

أفق من غفوتك ، وانهض من رقدتك ، فالعمر قليل ، والعمل كثير ، فإلىٰ متىٰ النكوص والفتور والتواني والكسل ؟! إلىٰ متىٰ هجران الطاعات ، وترك المندوبات ؟

بل قل : ترك الواجبات ، وآكد الفرائض المتحتمات ، واستمراء المعاصي والسيئات ، والاجتراء علىٰ الوقوع في المهلكات .

إلىٰ متىٰ ؟ إلىٰ متىٰ ؟!

يا نفس ؛ بالله أجيبيني !! ما دمت تعرفين أنك

لا تساوين شيئًا عند الله ، وأنك رضيت بالهوان فآثرت نعيمًا فانيًا ، وزهدت في جنات خالدات ، أما تنظرين إلىٰ من ساروا في درب الشقاء والفتنة بالدنيا واللهث وراء الشهوات كيف فتنوا؟ كيف ذلوا وصغروا؟ كيف شَقُوا، فما - والله - سُعِدوا؟.

ثم بعد ذلك الردىٰ تريدين!!

لا ... لا لن أنصت لحديثك مرة أخرىٰ؛ بل سأبدأ من اللحظة ، سأبدأ في الحال صفحة جديدة في عمري لا شعار لي فيها إلا «الجدية في الالتزام» .

● ومن هنا البداية ، فاعرف أولًا من أين أُتيت؟ وكيف قَهَرتْ جيوشُ النفس والشيطان حصونَ قلبك فأردَتْكَ ، ضع يديك في يدي ، وتعال نعمل سويًا لأجل رضا ربنا ، حتىٰ نصل - بإذن الله - إلىٰ الجنة .

* * *

أسباب ضعف الالتزام

● **إخوتاه**، إننا لم نأخذ الجدية في التزامنا ؛ وذلك لأن التزامنا فيه ضعف، وهذا الضعف لابد له من أسباب .

فما هي الأسباب وراء ضعف الالتزام؟

● **أقول - وبالله عوني وعليه توكلي** : إن أسباب ضعف الالتزام مع كثرتها فقد تنحصر في ستة أسباب :

السبب الأول: عدم الجدية في أخذ الدين:

فإننا لم نأخذ هذا الدين في الأصل بجد ، بل دخلنا فيه هوًى وهواية .

أطالبكم الآن بأن يراجع كل منكم نفسه، فيبدأ بسبب التزامه الأول .

عندما تراني وأنا أصرخ فيمن لا يصلي: لماذا لا تصلي؟ أحتاج - أيضًا - أن أوجه صرخة أخرىٰ لمعاشر المصلين: لماذا تصلون؟

نعم، لماذا تصلون؟! بل أقول يا من التزمت . . . لماذا التزمت؟

يا من أعفيت لحيتك، لماذا أعفيتها؟ لماذا أخي قصرت ثوبك؟!

لماذا تركت أشرطة الأغاني وأقبلت علىٰ سماع القرآن؟!

لماذا خلا بيتك من الدش والفيديو والتليفزيون؟ لماذا؟!!

لماذا اقتنيت مصحفًا؟ لماذا بدأت تقرأ القرآن؟ لماذا تحفظ القرآن؟ لماذا تحضر دروس العلم؟ لماذا لا تصاحب إلا مؤمنًا؟ . . . لماذا . . . لماذا . . . ؟

هل هذا كله لله ، أم شهوة وحظ نفس ؟ فإذا كان لله فهنيئًا لك مرضاة ربك والجنة ، وإن لم يكن كل هذا لله فاعلم أنه مردود عليك ، فيضمَحِلّ ويتلاشىٰ ويتوارىٰ ويعود كأن لم يكن .

قال تعالىٰ : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] .

لابد أن نمحص نياتنا علىٰ جمرات الإخلاص ، ارجع إلىٰ البدايات الأولىٰ ، ولتتهم نيتك ، فكثير منا التزم الدين في ظروف غير طبيعية قد تكون دفعته أو اضطرته إلىٰ الالتزام ، وبعضنا - ولله الحمد - التزم لله مخلصًا ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ، لكن ارجع وصحح نيتك فهذا هو الأصل .

ويظل السؤال يتردد في عقلك وقلبك وأمام عينك : لماذا التزمت؟

السبب الثاني : الترف .

والترف مفسد أي مفسد ، إذ يتعلق قلب صاحبه بالدنيا .

وللأسف الشديد ؛ إن أكثر الأمة اليوم يعيش ترفًا غريبًا عجيبًا دخيلًا علينا .

حتىٰ الفقير يحاول أن يفتعل الترف ، ولو في بعض الأشياء ، تجده لا يجد إلا قوته الضروري ، ولكنه يقتطع منه من أجل أن يقتني الهاتف المحمول ، ويشتري أفخر الأثاث ، ويشتري أحدث الأجهزة ، ويشتري «الدش» فيدخل الفساد علىٰ أهله ويقره في بيته دياثةً .

وهذا يقتطع من قوت أطفاله لكي يقضي بضعة أيام علىٰ شاطئ أحد البحار هنا أو هناك ، والقائمة طويلة تعرفونها جيدًا ، فإلىٰ الله المشتكىٰ .

ترف . . . ترف . . . أما أن يدعىٰ لصدقة علىٰ فقير أو تبرع لمسجد لوجه الله - وللأسف الشديد - يشح ويبخل ويقدم لك الاعتذارات لضيق الوقت وضيق ذات اليد و . . . و . . . إلخ .

للدنيا وللشهوات يحارب ويدبر ويفكر ويتصرف . . وعند طلب الآخرة تأتي الظروف والضوائق .

واخجلاه ممن يعلم الأسرار ﷻ .

نعم إنه التنافس علىٰ الدنيا ، وكأنه لو لم يُحَصِّل شهواته وملذاته سيعيش في الضنك ، وسيبلغ به الحرج المدىٰ ، كلا والله ، لو علم حق العلم لعلم أن الزيادة في الدنيا ما هي إلا زيادة في الخسران .

ولذلك فالغني يصاب بالبطر والكبر ، قال تعالىٰ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] ويصبح ماله نقمة عليه في الآخرة ، فيصرخ يوم القيامة :

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٢٨-٣٧].

والفقير يَخلِقُ دينه بالحقد والحسد، ناهيك عمن يتكبر وهو مُعوِزٌ فيدخل في قول رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا يزكيهم، ولا ينظرُ إليهم، ولهُم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائلٌ مستكبِرٌ»**[1].

فالأول: رجل كبير السن يزني.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧) «كتاب الإيمان»، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنّ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

والثاني : ملك يكذب على رعيته ولا يحتاج لذلك ، فإذا كذب غش ، فهنا نقول - كما يقول العلماء - : ضعف الداعي ، وتم الفعل ، فعظم الوزر .

إنها عقوبة تروع قلب أي مسلم ألَّا يكلمَه اللَّه ، انظر لكعب بن مالك لما خاصمه رسول اللَّه ﷺ كادت روحه تزهق ، تَفكَّر في حالك لو أتيت من تحب فوجدته معرضًا عنك أو خاصمك ؛ كيف تكون حينها ؟!

ألا تشعر أن الدنيا اسودت في وجهك ، ويحل بك من الضيق والحزن ما يقطع قلبك ، فما بالك أن يقاطعك اللَّه ، لا يكلمك ، لا ينظر إليك ، يعرض عنك ، لا يزكيك ، هذا أشد من عذاب جهنم عند الموقنين المحبين الموحدين .

والثالث : عائل أي فقير وهو مع هذا مستكبر ، فإن كان الغني يطغىٰ بالمال هذا أمر وارد ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] .

لكن فقير يتكبر، فلماذا يا عباد الله؟!!

إخوتاه، وكذلك فقير مترف هذا شيء يبغضه الله تعالىٰ، ولا شك أن الترف أفسد أبناءنا، فوجدنا فينا من يتفاخر يقول: أنا لا أجعل ابني في احتياج إلىٰ شيء أبدًا، فأنا ألبي له جميع طلباته ورغباته.

ومثل هذا يظن أنه أحسن إلىٰ ولده، وأنا أعرف أن العاطفة لها دخل كبير في هذا، بل من لا يستطيع أن يفعل ذلك يظل مهمومًا بهذه الرغبات من الأولاد التي لا يستطيع أن يلبيها لهم، والحقيقة أن هذا ليس من التربية في شيء، فأنت بذلك تفسد الولد.

إننا نفتقد الحكمة في التربية، بل نفتقد التربية الإيمانية الصحيحة لأولادنا.

أخي، لماذا لا تربي ولدك منذ البداية علىٰ أن يتعلق قلبه بالله، فإذا طلب شيئًا مفيدًا ولم تستطع أن تجيبه

فقل له : هيا يا بني نصلي ركعتين وندعو الله فيهما ، فإن الله هو الرزاق ، وهو ربنا المدبر لأمورنا ، فإذا لم يمنحنا المال الذي أستطيع به أن آتيك بما تريد ، فاعلم أن هذا ليس مفيدًا لنا الآن ، لأن الله صرفه عنا ، فتعلمه قول النبي ﷺ : «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[1] .

وليس من التربية أن تلبي جميع متطلبات أولادك فينشأ الواحد منهم عبدًا لشهواته ، كلما تاقت نفسه إلى شيء اجتهد وبذل أقصى جهده لتحصيله ، فإنه إن لم يجده سيسرق ويخون من أجل أن يحقق ما يشتهي .

وانظر إلى قصة هذا الرجل المسكين الذي ضاقت به الدنيا عندما طلب أولاده منه المال لشراء الملابس

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) «كتاب صفة القيامة ، والرقائق ، والورع عن رسول الله ﷺ» .

والكتب والأدوات المدرسية في بداية العام الدراسي، فلم يجد معه مالًا وضاق به الحال وظل يفكر ويغتم ويحمل هموم الدنيا، وكأنه يتساءل مع نفسه: ماذا أفعل، ما الحل؟ وهو ليس معه مال وظل هكذا حتىٰ غلبه النوم... أتدرون ماذا حدث؟ **لقد مات!!** أصيب بانفجار في المخ من كثرة التفكير!

الشاهد: أن هذا الرجل اختبره الله بهذا البلاء فلم ينجخ فيه، ولم يعلم نفسه وأولاده صدق اللجوء إلىٰ الله، فحدث ما حدث.

نعم يا أخي، إن لابنك حقًّا أعظم من الدنيا، وهو أن تعلمه كيف يلجأ إلىٰ الله، كيف ينجو من النار – اللهم نجنا وأولادنا من النار.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

إخوتاه ...

نحتاج إلىٰ صفات «الرجولة»، والرجل الحق لا يعرف الترف، ولذلك كان رسول الله ﷺ ينهىٰ عن كثير من الإرفاه، وكان يأمرنا أن نحتفي أحيانًا.

قال عمر: اخشوشنوا، فإن النعمة لا تدوم.

وقال العرب قديمًا: وعند الصباح يحمد القوم السري [(١)].

قال الشاعر:

ليس أمرُ المرءِ سهلًا كلُّه ... إنَّما الأمرُ سهولٌ وحزونُ
ربما قرتْ عيونٌ بشَجَىٰ ... مرمضٍ قد سَخُنت منه عيونُ
تطلب الراحةَ في دارِ العَنَا ... خابَ من يطلبُ شيئًا لا يكونُ

---

(١) السري: سير عامة الليل، وهو مثلٌ يُضرب في الرجل يحتمل المشقة من أجل الراحة، وقيل: إن خالد بن الوليد هو أول من قاله.

أيها الأحبة في الله...

موقف لطيف جرىٰ بين عالمين جليلين ، فقد اجتمع يومًا ابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري مع أبي الوليد الباجي الفقيه المالكي ، وجرت بينهما مناظرة سنة ٤٤٠ من الهجرة ، فلما انقضت المناظرة قال أبو الوليد الباجي لابن حزم : تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت علىٰ سرج الحراس ، فقال ابن حزم : بل أنت تعذرني فإن أكثر مطالعتي علىٰ تكآت الملوك - يريد ابن حزم أن الغنىٰ أضيع للعلم من الفقر .

فأبو الوليد الباجي كان فقيرًا لا يجد مالًا ، لا يجد مصباحًا في بيته ، فاعتذر لابن حزم لأن قراءته ومذاكرته وطلبه للعلم كان علىٰ مصابيح الحراس ، فالحراس كانوا يمشون في الليل بمشاعل لحماية البلاد من اللصوص ، فكان هو يسير وراءهم يقرأ في الكتاب ، ويذاكر علىٰ ضوء مصابيح الحراس .

سبحان الله العظيم !!

وهذا بقِيُّ بن مَخْلَد المحدث المشهور صاحب «المسند»، ومسنده أكبر من «مسند» الإمام أحمد بن حنبل.

الشاهد: قال لتلاميذه يومًا: أنتم تطلبون العلم؟! إنني كنت أطلب العلم فلا أجد ما أتقوت به فأجمع من على المزابل أوراق الكرنب الخضراء لآكلها، وأتعشى بها، حتى أتى اليوم الذي بعت فيه سراويلي من أجل أن أشتري أوراقًا أكتب بها، وجلست بلا سراويل.

قال ياقوت الحموي: فالغنى أضيع لطلب العلم من الفقر.

وقال بعض المحققين: كثرة المال وطيب العيش تسد مسالك العلم إلى النفوس، فلا تتجه النفوس إلى

العلم مع الترف غالبًا فإن الغنى يسهل اللهو ويفتح بابه وإذا انفتح باب اللهو سد باب النور والمعرفة، فلذائذ الحياة وكثرتها تطمس نور القلب، وتعمي البصيرة وتذهب بنعمة الإدراك.

أما الفقير وإن شغله طلب القوت، فقد سدت عنه أبواب اللهو، فأشرقت النفس، وانبثق نور الهداية والله الموفق والمستعان.

إخوتاه ... هذه هي القضية

إن الترف مفسد، وكثرة المال تلهي، فاللهم أعطنا ما يكفينا، وعافنا مما يطغينا.

وللأسف الشديد أن الناس في هذا الزمان لا يطلبون ما يكفيهم، بل يطلبون ما يطغيهم، لا يكتفون بما يرضيهم، بل يطلبون ما يعليهم.

قال بعض السلف: «إذا كان يرضيك ما يكفيك

فأقل شيء في الدنيا يرضيك ، وإن كان لا يرضيك إلا ما يطغيك فليس شيء في الدنيا يكفيك» .

وهناك من الناس من يطلب المال بضياع الدين ؛ رجل رزقه اللَّه محلًا متخصصًا في بيع إحدىٰ السلع الإستهلاكية ، وكان له شريك فرزقه اللَّه المال فانفصل عن شريكه ، ثم زاد المال ففتح محلًا ثانيًا في مكان آخر ، ثم محلًا ثالثًا في مكان آخر ، ومحلًا رابعًا ، وكثر المال في يده ، فكان في الصباح يمر علىٰ المحلات الأربع ، وفي منتصف النهار يأتي بالبضائع ، وفي آخر الليل يقوم بجمع النقود ، وأخذ يتحدث بلغة الجنيه ، وذات مرة وهو أمام أحد المحلات الأربع يتحدث حدث ما لا تحمد عقباه . . . لقد سقط ميتًا .

الشاهد : أنه ضيع دينه بطلب المال ، ولعله لم يتمتع به .

انظر لطلبة العلم الآن، فأكثرهم لم يختم القرآن حفظًا، والحفّاظ أصبحوا ندرة، فإذا سئلت لماذا لم تحفظ القرآن؟ فالجواب عادة: لأنني لا أجد الوقت.

أتدري أخي لماذا لا وقت عندك؟ لأنك تضيعه في طلب الدنيا أو طلب شهوات النفس.

اعلم يا أخي أن لله حقًّا في وقتك، فاتق الله . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثالث: رواسب الجاهلية.

من أسباب ضعف الالتزام رواسب الجاهلية – وهو من أخطر الأسباب وأكثرها انتشارًا – فإن أكثرنا يدخل طريق الالتزام وفي داخله نفسه رواسب من رواسب الجاهلية، مثل: حب الدنيا، والاعتزاز بالنفس، والآمال الدنيوية العريضة، وعدم قبول النصيحة وسوء الخلق، وكثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام، و . . . إلخ .. أمراض كثيرة وخطيرة.

ولقد ضرب الله لنا الأمثلة في القرآن ، وقص علينا قصص الأمم السابقة لنتعظ ولنعتبر ولنتعلم ؛ انظر مثلًا إلى بني إسرائيل وقد آمنوا لنبي الله موسى عليه السلام ، يقول الله عنهم : ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣] .

هؤلاء الذين أسلموا لموسى بعد السحرة ، يخبرنا الله أنهم أسلموا على خوف لماذا؟ لأنهم ربُّوا على القهر والذل والاستعباد ، وسوقهم كالقطيع ، نشئوا على ذلك ، عاشوا على هذا ، فلما آمنوا ظلت فيهم رواسب من هذا ، فلم ينجحوا مع موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فاتبعوه وبدأت الجاهليات تظهر ؛ فتارة قالوا : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] ، وتارة قالوا : ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] ، وتارة قالوا : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ثم إنهم تجرءوا على الله بعد إذ نجاهم من البحر إلى البر، وأغرق فرعون وجنده أمام أعينهم إذا بهم يقولون لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

نعم إنها رواسب الجاهلية ... فتأمل

والشاهد: أن سبب هذا أنهم آمنوا أصلًا على خوف من فرعون وملئه، فإذا اجتمع الالتزام مع رواسب الجاهلية، تظل الرواسب تشدك للماضي، فتحدث العجائب ويقع ما لا تحمد عقباه.

فلابد أخي الحبيب أن يكون الفرق بينك الآن - وأنت ملتزم - وبينك أيام الجاهلية شاسعًا، لابد أن تتغير جذريًا عما كنت عليه قبل الالتزام، لا تدع في حياتك الجديدة أي أثر من جاهليتك القديمة.

نعم ؛ تغير في السلوكيات ، تغير في الأخلاقيات ، تغير في المعاملات ، وتغير في العبادات ، فاللسان يلهج بالذكر ، والعين تبكي لله خشيةً ، ولسانُ حالك : ما هو مقامي عند الله ؟! لابد من هذا كله .

فكم من شباب التزم ثم نكص على عقبيه بسبب هذه الآفات الخطيرة التي تغافل عن علاجها .

إن الرواسب السيئة تفشى وتنتشر ، فعالج الأمراض ولا تهملها ، واقتلع الشرور من نفسك من جذورها ، واجتهد في التخلص من طباعك الجاهلية وأخلاقك الجاهلية وآمالك الدنيوية البحتة فإنها جاهلية .

إخواني في الله ...

أنتم تعلمون أني – والله – أحبكم في الله ، فلا تغضبوا مني ، فإني أحاول أن نصل معًا إلى حل ، إلى علاج لتلك الأمراض التي تفتُّ في عضدنا ، وتطمس

الجهود الدعوية المبذولة لإعلاء كلمة الله في الأرض .

أخي .. إذا كان لابد للمريض ان يتحمل مرارة الدواء لكي يصل إلىٰ الشفاء ، فلابدَّ من تحمل مشقة الطريق لكي نصل إلىٰ الجنة ، فهل يعزُّ عليكم تحمل هذا في سبيل الوصول للجنة ؟!!

السبب الرابع: عدم الاهتمام بطلب العلم:

فتجد بعض الإخوة بدأ طريق الالتزام واكتفىٰ من ذلك – فقط – بالمظهر العام ، مع سماع بعض الأشرطة كل حين .

ومما ينبغي التنبيه والتأكيد عليه ؛ أن أكثر الأشرطة لا تحوي علمًا إنما هي مواعظ وتذكرة وإحياء للإيمان ، ونحن لا ننتقص من قدر هذا ، فلهذا أهميته ، ولكن ليس هذا كل شيء ، إننا بحاجة إلىٰ منهج واضح في طلب العلم ، يشمل كل جوانبه ؛ من عقيدة ، وفقه ،

وسيرة، وتفسير، وحديث، ومصطلح، وأصول، ولغة؛ وكل هذا يسير في جوانب متوازية.

وعندما يتنامى العلم عند الأخ الملتزم - وهذا لا يكون إلا بالجدية في طلب العلم فعلًا - فإنه سيقطع في طريق الالتزام خطوات جديدة، أما إذا ظل الملتزم على حاله من الجهل بالدين فإنه سيظل كما هو، ويضعف التزامه يومًا بعد يوم، فإن العلم قوة في الالتزام، ومعرفة جديد في الدين كل يوم يدفع إلى عمل، وإلا فهو في نقصان.

السبب الخامس: عدم تغيير نمط الحياة:

بعض الناس يلتزم وتظل حياته كما هي، ويظل على حاله كما هو.

أخي الحبيب:

الالتزام بالدين نقلة بعيدة، فلابد من تغيير نمط حياتك.

ابتداءً من مواعيد النوم والاستيقاظ، وذلك ضبطًا لأمور الصلوات المفروضة، وقيام الليل، وغير ذلك.

مرورًا بمجموعة الأصدقاء والمعارف.

ووصولًا إلى ما تحب وما تكره وما تريد وما لا تريد، لابد من تغيير كل ذلك.

لابد من حياة جديدة، جديدة بكل معانيها، ترضي الله ﷻ؛ حياة أخروية بشكل آخر، غير حياة أهل الدنيا، وأهل المعاصي، وأهل الغفلة.

إن الذي يلتزم ويريد أن يعيش حياته كما هي بطولها وعرضها على هواه واهم في التزامه، اسميه «التزام»، واسمها «تكاليف»، والدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1] وفرق بين من يعيش الدنيا للهو واللذة ومن يعيش الدنيا عبدًا لله، إذًا

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٥٦)، «كتاب الزهد والرقائق».

الامر يستحق أن تغير نمط حياتك علىٰ ما يرضي اللَّه .

يقول ابن القيم عليه رحمات اللَّه وبركاته في «الفوائد» :

الوصول إلىٰ المطلوب موقوف علىٰ هجر العوائد وقطع العلائق وتخطي العوائق ، فلابد من تغيير عوائدك وقطع علائقك القديمة ليقوىٰ التزامك بالدين .

أخي الحبيب :

خذ الأمر بقوة ولا تخف واللَّه المستعان .

السبب السادس من أسباب عدم الجدية :

السطحية :

وكذلك نجد لدىٰ كثير من الشباب سطحية بالغة في التفكير ، فلا تجد أحدهم يمعن النظر في الأمور ولا يسبر غورها ويكتفي أحدهم بالنظرة العجلىٰ ويعتريه النزق ، والملل ، ولا يريد أن يكلف نفسه عبء

التفكير، والنظر، والتأمل وإذا ما استمر على ذلك انطبعت حياته بهذا السلوك الشائن فلا يستطيع في مستقبل أيامه أن ينظر نظرة فاحصة، ولا أن يتأمل تأملًا دقيقًا فيقع فريسة للأوهام والأحكام الخاطئة.

ولو أنه ألزم نفسه بالتعلم والتثقيف، ودربها على التعمق والفهم الصحيح لتخلص من هذه السطحية المقيتة.

والسطحية عند كثير من المسلمين هي أننا نظهر الاهتمام بالأمر ونحن في أعماق نفوسنا معرضون عنه كارهون له، ولا يستطيع الأكثرون أن يصلوا إلى إدراك ما هو مستقر في أعماق نفوسهم ولذلك يأتون بالأمور المتناقضة ولا يشعرون.

اعتذر المنافقون بقولهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١]، وغابت عنهم خفايا نفوسهم واعتذروا بأن بيوتهم عورة فقال لهم القرآن:

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهم يحسبون أنهم يخادعون الله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩].

ولقد سرت السطحية إلىٰ العبادات ففقدت روحها وحقيقتها كما سرت إلىٰ النواحي الخلقية ففقدت أيضًا حقيقتها وكان من نتيجة ذلك أن تدنىٰ الفرد المسلم إلىٰ دركات دون المستوىٰ الإسلامي الصحيح وإلىٰ جانب هذا غرور بالنفس وشعور بالكمال، ولكنه كمال العقم، أو كمال الموت.

انحراف المفاهيم وعدم الوضوح في المعاني الإسلامية وعدم الوضوح في الوسائل التي تؤدي إلىٰ هذه المعاني وإيمان هامد خامد لا يدعو إلىٰ بذل وببغائية، ونعني بها ذكر الألفاظ والتبجح بها وترديدها دون إدراك عميق لمدلولاتها، ويقترن بكل هذا أيضًا ضعف القدرة علىٰ التخطيط لمواجهة المشكلات وإيجاد

الحلول الصحيحة لها والواقع أن مرجع ذلك إلىٰ التربية التي يتلقاها أبناء هذه الأمة .

وهكذا نرىٰ سطحية التفكير لا تظل مقتصرة علىٰ هذه السطحية ولكنها تقترن بمضاعفات عدة .

ولا شك أن التخلص من هذه السطحية إنما يكون بالجدية نعم بالجدية في أخذ الأمور كلها صغيرها وكبيرها .

* * *



علاج ضعف الالتزام

أخي ... إن لكل داء علاج ، ولكل علاج طرق ، وإن طرق علاج ضعف الالتزام كثيرة ، نذكر منها :

أولاً: قف مع نفسك وقفة صادقة جادة:

لا بد من وقفة جادة مع النفس ، اصدق مع نفسك ، ولا تبخل في بذل النصح لها ، قل لها : ثم ماذا؟ ما هي النهاية لكل ما أنت فيه من إعراض عن سبيل اللَّه؟

فهذا أول سبيل للعلاج.

سل نفسك: ماذا تريدين؟ هل تريدين الجنة أم النار؟ فإن قالت : الجنة ، فقل لها ، فبماذا تطمعين فيها وأنت في هذا البلاء ، وأنت تعصين اللَّه في السر والعلن ، في الليل والنهار ، حالك هذا - واللَّه - لا يرضي اللَّه؟ إن هذا لهو الغرور عينه .

سل نفسك: مالك تشتهين الدنيا وقد علمت حقيقتها؟ أليس نعيمها منغصًا؟ أليس كل ما فيها يزول ويفنى؟ قل لها: مالك تريدين الدنيا وهي إلى رحيل ولا تعملين للجنة وهي دار الخلود؟

أخي . . . لا بد أن تصدق مع نفسك في الجواب، وإياك من التلون والخداع، إياك أن تظفر بك نفسك في التسويف والقنوط.

بعضنا إذا سألته: هل تريد الدنيا أم الآخرة؟

يقول: الآخرة قطعًا، وحاله شاهد على كذبه.

وآخرون لا يدرون ماذا يريدون.

وبعضنا لا يريد أن يفوت الدنيا ولا الآخرة، والجمع بين النقيضين مُحال.

كم من شاب يمني نفسه بالعروس الجميلة ذات المؤهل العالي والمركز الاجتماعي المرموق، وبطبيعة

الحال كل سلعة لها ثمن ، ففي المقابل ستجد التكاليف الباهظة من مهر وشقة ومستلزمات . . . إلخ ، وهكذا تظل تعمل من أجل الدنيا فتملكك ، ثم تقول : أريد الدنيا والآخرة !!

إخوتاه ...

أهل الآخرة يكفي أحدهم أقل القليل من حطام الدنيا ، فمن كان همه الآخرة لم يبال بما حصَّل الناس من الدنيا ، إذا رأىٰ الناس يتنافسون في الحصول علىٰ المرأة الجميلة ، تذكر هو قول الله في الحور العين : ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨] ، فصرف رغبته إليهن ، وشمر عن ساعد الجد لنيلهن .

وهكذا تلمح دائمًا الفرق بين أهل الدنيا وأهل الآخرة ، فيا ترىٰ ممن أنت ؟!

الشاهد : أننا نريد موقفًا جديًا ، نمحص به نياتنا ،

نعيد من خلاله ترتيب أهدافنا، وابدأ بسؤال نفسك: ماذا تريدين؟ ثم الأمر يحتاج بعد ذلك إلىٰ قرارات حاسمة لا رجوع فيها.

ثانيًا: مخالفة النفس طريق الهدى:

استمع لقول ربك ﷻ حين يعلم موسىٰ - عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام - كيف يربي قومه؛ يقول الله ﷿: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ لماذا؟ ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] هكذا يعلم الله موسىٰ عليه السلام كيف يعد قومه لمواجهة الفاسقين، أن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن ما أنزل إليه وبمنتهىٰ القوة، هذا أصل التربية: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

إن الترف القتال، والخور المميت، والضعف

الفتاك لأمراضٍ تنبع من النفس وتنبثق من القلب فتقتل الإيمان في المهد .

خالف نفسك وهواك وخذ بأحسن ما تعلم ، النفس تميل إلىٰ السهل والهين فلابد من حملها علىٰ الجد بقوة .

فهذا أول السبيل : تهذيب النفس بمخالفة الهوىٰ ، فلا تتابع نفسك في كل ما تشتهي ، فلا تُجبها في كل ما تطلب .

مثال ذلك : أن تعرف من نفسك أنها لا تصبر علىٰ طاعة ، فإذا قالت لك : هيا لنأكل ، أو نذهب لزيارة فلان ، أو نحو ذلك من المباحات ، فقل لها : ليس قبل أن أقرأ وردي من القرآن ، فستظل تلح عليك ، فإن خالفتها ولم تفعل ما تطلبه منك المرة بعد المرة فسوف تتحكم فيها ، ومن هنا تعلو همتك ، وتكون صاحب إرادة ، وهذه هي الرجولة الحقيقية ، فتأمل !

كذلك أنت - أيتها الأخت المسلمة - إذا حادثتك النفس في أن تكلمي فلانة أو تجلسي مع فلانة، فقولي لها: لا ليس قبل أن أنتهي من حفظ هذا الجزء من القرآن، أو ليس قبل أن أنتهي من أذكار الصباح والمساء، ليس قبل أن أقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير» مائة مرة، وهكذا خالفيها في المباحات، فإنك إن فعلت فإنها لا تأمرك أبدًا بفعل المكروهات، ومن باب أولىٰ المحرمات فتكون لك النجاة.

إذًا فمن تابع نفسه في كل ما تطلب أهلكته، لذلك قال تعالىٰ في عاقبة من يخالف نفسه في هواها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقد بين لنا ربنا حقيقة النفس فقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

فالنفس قد تكون طاغوتًا يعبد من دون الله دون أن يدري الإنسان منا، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فاتباع الهوى سبب الضلال، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فاللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وقنا شر أنفسنا، واجعلنا من المرحومين.

أخي الحبيب ... هذّب نفسك، وأعلمها حقيقتها، فهي أمانة لله الكبير المتعال، فلابد أن تقيم حاكمية الله على النفس، فالله هو الذي يحكم نفسك، والحاكمية له سبحانه وليست للشهوات، ولا للشيطان. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]

إنك تتعجب حين تطالع سِيَرَ سلفنا الصالح، كان الواحد يأكل في اليوم مرة، ويشرب في اليوم مرتين فقط، كما أُثِرَ هذا عن الإمامِ أحمدَ وغيره.

فأي رجال كان هؤلاء؟! لكن من عاش ليأكل ويشرب، فهذا قد يكون عبدًا لبطنه، طالع سير السلف لتعرف قدرك جيدًا.

سئل بعض السلف: الرجل يأكل في اليوم أكلة؟ قال: طعام المتقين.

قيل: فالرجل يأكل في اليوم مرتين. قال: طعام المؤمنين.

قيل: فالرجل يأكل في اليوم ثلاث مرات. قال: قل لأهله: ابنوا له معلفًا.

فالناس اليوم يعملون من أجل أن يأكلوا أفخر

الأطعمة، إنه يريد أن يحاكي هذا وذاك... إنه شره النفس، فليس الأمر ما يسد الحاجة فقط.

وأعداء الإسلام لا ينفكون في تزيين الباطل للناس، حتى تتحطم عقيدة المسلمين في خضم الشهوات والملذات، إنها كما قيل: «صناعة الغفلة»، نسأل الله لنا ولكم العافية.

إخوتاه ...

انظروا، لقد أراد الله لنبيه يحيى عليه السلام الحكم وهو صبي قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]، انظروا!! يحكم وهو صبي.. لماذا؟ لأنه تربى على الجد والرجولة، لا على الترف، ولا على الشهوات، ولا على متابعة النفس، ومطاوعة الرغبات، ولا على توفير المطالب، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾

[مريم: ١٢-١٤]. أصل الأمر ﴿يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة﴾: القوة في الأخذ، الجدية في الأخذ.

فأين هذه الصفات في شبابنا الآن؟!!

أيها الإخوة ... الله أمرنا بالجدية في الإسلام فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤] فالأمر ليس هزلًا، اليوم نرىٰ سمات الصالحين في الظاهر، ولكن علىٰ قلوب فارغة، علىٰ عقول فارغة.

وأنا آسف إن قلت هذا، ولكن هذا واقع للأمة لا بد من تصحيحه، لأنه عار علينا، ووصمة للدعوة، وبعد أن بدأت تظهر أمور لا تمتُّ بصلة للإسلام في المعاملات؛ من أكل أموال الناس بالباطل، والمشاكل الأسرية، والطلاق، وأيضًا الأولاد الذين كنا نعقد عليهم آمالنا، أولاد الملتزمين الذين لم يعرفوا الجاهلية التي مر بها آباؤهم، فوجدنا من كبر منهم – وللأسف – بعضهم أسوأ من أبيه.

فلابد من وقفة للتصحيح، لابد من ضبط مواقع الأقدام، قبل أن تزل بنا في جهنم، قال تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤].

ثالثًا: التخلص من مظاهر عدم الجدية:

ومن أخطر تلك المظاهر: الرضا بالظواهر والشكليات، ونسيان القلب والأعمال.

فليس جل الدين في اللحية والقميص والنقاب، إنها من شعائر الإسلام، ويجب علينا أن نلتزم بها، لكن لأن هذه السنن صارت شعارًا لأهل الإيمان ومعشر الملتزمين في هذا الزمان - فلا شك - تسرب بينهم من ليس منهم، واكتفى بهذه الأمور فقط.

ومن هنا عدنا نقول: الملتزم هو الصوام القوام، الملتزم هو القائم بالقسط، الملتزم هو من خلا بيته من المنكرات، من يتفقه في دينه، من يفهم عن ربه، من

يعمل في تزكية نفسه . . . هذه هي المعايير الآن ، ومن ابتعد عن هذا فليس من الملتزمين ، ولو أعفىٰ لحيته وأطال عمامته وقصر ثوبه وتمتم بألفاظ الملتزمين ، فقف لتحاسب نفسك !

إخوتاه ...

أسألكم بالله : منذ أن التزم الواحد منكم ماذا حصَّل من العلم الشرعي الذي زاده قربًا إلىٰ ربه ؟

ماذا حصَّلت من العقيدة؟ ماذا درست في الفقه ؟

كم كتابًا قرأت ؟ وعلىٰ يد مَن تعلمت ؟

هل تجيد قراءة القرآن الذي هو فرضُ عينٍ عليك ؟

كم حفظت من القرآن منذ أن التزمت ؟

ما أخبار قيام الليل ، وصيام النهار ، والمحافظة علىٰ الأذكار ؟ ! !

أيها الأخ الحبيب ...

ينبغي أن يكون الفرق بينك الآن وبينك أيام الجاهلية شاسعًا ، لابد أن تتغير جذريًا ، فاللسان يلهج بالذكر ، والعين تبكي خشية لله ، القدم تورم من القيام ، قلبك لا تجده إلا في دروس العلم ، أذنك تعودت على سماع القرآن وهجرت الموسيقى والغناء .

لابد من هذا ، فإنك لا تعدِمُ أن ترى الأطفال يدندنون بالإعلانات والأغاني ، وتحزن أنك لا ترى أبناء الملتزمين وهم يدندنون بالقرآن .

أين ابنك الذي حفظ القرآن ، ثم حفظ « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » ، والذي فيه أصح الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأكثرها قوة .

هل رأيت مثل هؤلاء؟ اللهم إلا النادر القليل ، والنادر لا حكم له .

لماذا يحدث هذا؟ لماذا لأهل الباطل الغلبة والتأثير؟ أهم أكثر منكم إخلاصًا؟!!

ما نحن فيه الآن يجعلنا جميعًا في قفص الاتهام، وعليك أن تثبت لي عكس هذا.

قال الحسن البصري: «ليسَ الإيمانُ بالتمنّي ولا بالتحلّي، ولكن ما وقَر في القلبِ وصدقتْه الأعمالُ، وإن قومًا خرجُوا من الدنيا ولا حسنةَ لهُم، قالوا: نُحسِنُ الظنَّ باللَّه، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظنَّ لأحسنوا العملَ».

إخوتـاه..

أين الإخلاص؟! أين حملة الدين؟ أما رأيتم الرُّوَيْبِضَةَ وهم يمرقون من الدين، إن هؤلاء ما تجرءوا على الدين إلا بسبب تقصيرنا؟ تقصير في طاعة اللَّه،

---

(١) وقد صح عنه موقوفًا، وهو ضعيف مرفوعًا.

تقصير في الدعوة إلى الله ، والواحد منا جل ما يصنع أن يقول : أنا مقصر ، ادع الله لي !! مقصر !! فلابد من علاج ، فليس الأمر أن تتهم نفسك في العلن ، ثم لا يتبع ذلك ندم وتوبة .

إخوتاه ...

نحن لا نيأس من رحمة الله ، والله وعدنا إن أصلحنا من أنفسنا أن يغير ما نحن فيه من غربة ، فالأمل سيظل معقودًا أبدًا ، والمستقبل للإسلام ، وإن كره الملحدون والكافرون ، والتمكين للدين آتٍ بإذن الله .

نسأل الله أن يمكن لدينه في الأرض .

رابعًا : زيادة الطاعات وعدم الاغترار بالعمل اليسير :

معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فإن لم يكن يزيد فإنه ينقص .

أريد أن يزيد إيمانك كل يوم ، تقرب إلىٰ اللّٰه بما تستطيع ولا تغتر بالعمل اليسير ، ولا تكثر التشدق بالإنجازات ؛ لأن هذا قد يورث العجب والفرح بالعمل ، والاشتغال بالنعمة عن المنعم .

مثال ذلك :

تجد أن الأخ إذا وجد نفسه مقيمًا للصلوات في الجماعة وقام ليلة أو ليلتين ، ظن نفسه من أولياء اللّٰه الصالحين ، وهذا قد يبتلىٰ بترك العمل ، لأنه لم يشكر النعمة ، وإنه نسب الفضل لنفسه ، ولذلك كان المؤمنون هم أكثر الناس وجلًا ، فليس الشأن في العمل وإنما في قبوله ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

فالاغترار بالعمل القليل اليسير ، وكثرة الكلام عن الأعمال التي يقوم بها ، هذا دليل أنه لن يكمل ، ولن يتم ، فاستر نفسك .

قال الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين»:

«ولله در أبي مدين حيث يقول: ومتىٰ رضيت نفسك وعملك لله، فاعلم أن الله عنك غير راض، ومن عرف نفسه وعرف ربه علم أن ما معه من البضاعة لا ينجيه من النار، ولو أتىٰ بمثل عمل الثقلين».

نعم، الذي يرىٰ نفسه مؤمنًا خالصًا فهذا معجب مغتر بنفسه، لابد أن ترىٰ دائمًا نفسك بعين النقص والعيب، لابد أن تنكس رأسك وتذل لله.

وأنت تعرف أن الولد إذا رضي عن نفسه في علم من العلوم يبدأ يهجر مدارسته، ثم بعد هذا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وقد يرسب في هذا العلم بسبب تهاونه وعجبه، وكذلك إيمانك، فلا تأمن عليه من الضياع.

وقضية الأمن علىٰ الإيمان من القضايا الخطيرة التي تحتاج إلىٰ بسط، وقد قال الله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن

يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩]

فلا تأمن، فإن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأمن على توحيده، بل ابتهل إلى ربه وقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. نعم؛ قضية الأمن على الإيمان قضية خطيرة خاف عمر على نفسه النفاق، وهرول ابن عوف حين سمع حديث «من أصحابي من إذا مت لم يروني»

وهكذا الصالحون لا يأمنون فإن القلوب بين أصابع الرحمن، نسأل الله التثبيت على الإيمان.

قال الحسن عن النفاق: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق» فليعظم خوفك ووجلك وحذرك ليحصل أمنك هناك في الجنة، وإلا فإن المغترين بالأماني يحبط عملهم.

وخلاصة القول أن السبيل لعلاج الفتور: الزيادات الإيمانية المستمرة، وإنما يكون ذلك بالخوف الدائم والوجل والإشفاق، فيكثر العمل ويزكو ويثمر؛ نسأل اللَّه أن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، ويرزقنا البركة فيه.

خامسًا: عدم التسويف

فمن مظاهر عدم الجدية في الالتزام كثرة الوعود والأماني مع التسويف، فتجد المرء منا يمني نفسه، تقول له: احفظ القرآن، فيقول: سأحفظ إن شاء اللَّه عندما أجد الوقت، وبطبيعة الحال لا يجد الوقت فهو مهموم دائمًا، يقول: عندما أنتهي من الدراسة سأتعلم العلم الشرعي، وأتفرغ للدعوة إلى اللَّه، ثم يدخل (الجيش)، فيقول: عندما أنتهي من هذه الفترة الشاقة سأصنع ما أريد بإذن اللَّه، ثم تنتهي مدة الجيش، فيبدأ في البحث عن العمل، ثم يقول: لابد أن أتزوج كي

أحصن نفسي ، فيظل مهمومًا بأمر الزوجة والبحث عنها ، ثم يجدها فيهتم بأمر الشقة وتجهيز المنزل ، ثم يتزوج فيبدأ في السعي لتحسين وضعه الاجتماعي ، ثم يرزق بالأولاد فيظل مهمومًا بأمورهم ... هكذا دواليك . والقرآن ... لقد نسي أخانا الموضوع من أصله .

والعجيب أنك قد تجد رجلًا من هؤلاء في النهاية قد رضي بهذا الضنك ، ويقول : هذه سنة الحياة !!

سنة الحياة أن تعبد الدنيا وتنسى أمر الآخرة ؟! سنة الحياة أن تهجر الطاعات من أجل الهوى والشهوات ؟!

إخوتـاه ...

بسيف التسويف قتل أناس كثيرون ، فالتسويف رأس كل فساد ، فمن أجَّلَ الطاعات لغد وبعد الغد لا يلبث أن يتركها بالكلية ، فالشيطان يسول له ، ويمنيه ، ويغريه بطول الأمل ، والموت يأتي بغتة ، والقبر صندوق العمل .

في قصة الثلاثة الذين خلفوا ، كان كعب لديه المال ، يقول كعب بن مالك ﷺ : «فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ، ولم أقض شيئًا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادىٰ بي حتىٰ اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول اللَّه ﷺ والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئًا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئًا ، ثم غدوت ، ثم رجعت ولم أقض شيئًا ، فلم يزل بي حتىٰ أسرعوا ، وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول اللَّه ﷺ ، فطفت فيهم أحزنني أني لا أرىٰ إلا رجلًا مغموصًا عليه النفاق ، أو رجلًا ممن عذر اللَّه من الضعفاء»[1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٤٤١٨) «كتاب المغازي» ، باب حديث كعب بن مالك ، ومسلم (٢٧٦٩) «كتاب التوبة» ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

وهكذا في نهاية المطاف وجد نفسه وسط المنافقين، وهذا من جراء التسويف.

إخوتاه ...

الحذر الحذر من التسويف، وطول الأمل، انتبه وتب واعمل قبل فجأة الموت، وحسرة الفوت.

يا من تعمل في أعمال محرمة، إياك أن تسوف، فقد تموت قبل أن تتخلص منها، هيا الآن لا تؤجل، لا تعطل، واتخذ هذا القرار الحاسم في حياتك فهذا دليل توبتك حقًا، لا أن تتشدق بالأوهام، يا من يريد حفظ القرآن قل: سأبدأ حفظ القرآن اليوم، كل يوم ربعًا أو ربعين، وتلزم نفسك بذلك إلزامًا صارمًا، ولا تتهاون في عقاب نفسك إن قصرت، وإلا فستصبح من أصحاب المظهرية الجوفاء، الذين يكثرون من الوعود والأماني ولا يعملون.

سادسًا: أخذ الدين بشموليته

فمن مظاهر عدم الجدية في الالتزام الاكتفاء ببعض الجوانب في الدين دون الشمولية، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فكثير من الملتزمين يدخل في الدين، ويلتزم ببعض الجزئيات التي أحبها في الدين، وقد يكون ذلك هوىٰ، فليس الهوىٰ في فعل المحرمات فقط، بل وفي فعل الطاعات أيضًا، قال الله تعالىٰ لنبيه داود - عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام -: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فدل علىٰ أن الهوىٰ ضد الحق سواء في فعل المأمور أو إرتكاب المحظور..

فملاحظة الشمولية في الدين أمر ضروري، فإنني أريدك متكاملًا في جانب العبادة، صوّام قوّام، ذكّار

لله، تتلو القرآن فتصبح ذا شخصية متألهة متنسكة، وعلى الجانب العلمي فأنت طالب علم مجتهد، حافظ للقرآن، ذو عقل وفكر نير واستيعاب شامل، وفي الجانب الدعوي فنشاط متقدم، سرعة واستجابة، وعدم رضا بالواقع، وتفكير متواصل في الطرق الشرعية لتحويل وتغيير مجرى الحياة، ذو تأثير ملحوظ في المحيط الذي تعيش فيه، كما قال الله تعالى في وصف نبيه عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

إخوتــاه ...

هذه هي الشخصية التي نبحث عنها، هؤلاء هم الرجال الذين يحق أن يمكّن لهم في الأرض، أما الرضا ببعض جوانب الدين، وتقسيم الدين إلى لباب وقشور، فهذه بدعة منكرة جرت من ورائها تنازلات كثيرة، وشقت الصف لا جمعته؛ تجد بعض الشباب رضي

بالجانب العلمي وترك باقي الجوانب ، تقول لأحدهم : لماذا لا تقوم الليل ؟! فيقول : طلب العلم يستحوذ على كل وقتي .

وأنا أعجب من هذه التفرقة التي لا أصل لها ، من قال أن علماء السلف تركوا الاجتهاد في العبادة والدعوة من أجل طلب العلم ؟!! قال الإمام أحمد رحمه الله لأبي عصمة حين بات عنده فنام ولم يقم من الليل : «وهل من طالب علم ليس له ورد من الليل» .

وتجد آخرين لا هم لهم إلا الدعوة ، يتجولون على الناس لدعوتهم وربطهم بالمساجد ، وهذا في حد ذاته حسن ، لكن دعوة بدون علم ، لا يصلح لأنه سرعان ما ينقلب على عقبيه ، لأنه لم يفهم دينه ، فربما يستجيب مرة أو مرتين بسيف الحياء ، أو بفعل تحمس مؤقت ، ثم بعد ذلك لا تجده .

وآخرون ارتضوا من الدين بالعبادة، فلا تعلَّموا ولا دعوا، فمن أين لهؤلاء بهذا؟!!

إخوتاه ...

الدينُ كلهُ واحد لا يصلح فيه الترقيع ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي جملة واحدة بجميع جوانبه.

ولابدّ أن توزع طاقاتك من أجل خدمة هذه الجوانب الثلاثة، **علم وعمل ودعوة**، ومتىٰ ضاع منك الوقت دون أن تثمر شيئًا في هذه الجوانب، فاعلم أن هذا من الخذلان، وأن هذا لا يكون إلا بكسبك، فينبغي أن تتوب سريعًا، وإلا فما يدريك لعل الموت أن يكون أسرع مما تتوقع، وعلىٰ هذا نتعاهد ونتواصىٰ، وليأخذ كل منكم بيد أخيه، فإنها النجاة والفلاح.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] فكل الناس في خسر إلا أهل العلم والعمل به والدعوة إليه، هذه الثلاثة الأصول؛ نسأل الله أن يجعلنا منهم فإنه ولي ذلك والقادر عليه، آمين.

سابعًا: التعاهد على الثبات حتى الممات

فمن مظاهر عدم الجدية: التفلت من الالتزام لأول عارض، فمن أول شبهة أو أول وارد من شهوة يتفلت، وسرعان ما تتتابع التنازلات، مرة ترك النوافل، ثم مرة ترك الجماعة، بدأ يترك رفقة الصالحين، وهكذا.

وفي الملتزمات تجدها تتنازل يوم عرسها فتخلع الحجاب، لماذا؟ لأنه يوم الزفاف ولا حرج، أو تتنازل فتتزوج من غير الملتزمين، ثم تبدأ في خلطة غير الملتزمات، تبدأ في مشاهدة التلفاز، تبدأ في الاختلاط بالرجال، ثم لا تسل بعد ذلك أين هي الآن؟!!

إخوتــاه ...

يقول ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٠) :

«وقال لي شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًّا للشبهات، أو كما قال».

يقول ابن القيم: فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك.

وهذا هو السبيل، فلا تكن خفيفًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ولهذا من يتأثر بأدنى شبهة فهذا لا يقين عنده، وأهل العلم واليقين هم الذين يثبتون، فلهذا أقول لك: ابتعد عن الشبهات.

وخذ بنصيحة رسول اللَّه ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبهاتِ فقدَ اسْتَبْرَأَ لدينهِ وعِرْضِه»[1].

فلا تلتفت - أخي - لكل شبهة ولكل شاردة وواردة، مثلًا: الأخ بعدما أعفىٰ لحيته يأتي الاختبار والبلاء، فيجد من يقول له: من قال إن اللحيةَ فرضٌ؟ اللحية سُنَّة؟ أو هي من العادات؟ وفلان وفلان قال ذلك، فلا تندفع خلف كل من يروج الأراجيف الممقوتة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣].

فالخفيف الذي لم يفقه سرعان ما يلتبس عليه الأمر، ومع أول مضايقة يفر، وهذا يعني عدم الإخلاص وعدم اليقين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٢) كتاب الإيمان، باب فضل من استبرا لدينه، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

وأصل كل المشاكل الإيمانية يدور حول هذين الأمرين، لذلك أقول لك: لابد أن تتعلم أولًا، ثم تعمل بما تعلم، ثم تدعو إلىٰ ما وفقك اللّٰه له.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

إخوتـاه ...

كثيرًا ما أحزن عندما تنتشر بعض الأقاويل الباطلة، أو عندما ينفث أعداء الدين بشبهاتهم، فتجد بعض الإخوة متخبطًا، يقول لك: ماذا أصنع؟! كيف نرد عليهم؟!!

إنك إن تسأل عن هذا جيد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ولكن متىٰ تقف علىٰ أرض صلبة؟

متىٰ تفهم عن اللّٰه؟ متىٰ لا يتسرب إليك الشك سريعًا عند كل شبهة؟

هذا ما يورث الفتور وعدم الجدية، فبهذه النفسيات لا يمكن أن يمكَّن لنا، لذلك لابد من أن نقف علىٰ أرض صلبة، لابد أن تثبت علىٰ الدين وإن قويت الرياح، لا نتزعزع، فلا تكن انهزاميًا.

مثلًا: تجد من يعمل في ساعة مبكرة من النهار يضيع منه الفجر مرة فأخرىٰ، ثم يبدأ يتنازل، وتجده يقول: لا يمكن أن أستيقظ للفجر، فإذا أراد أن ينام يضبط المنبه علىٰ ميعاد العمل، فينام علىٰ نية ترك الصلاة، وينسىٰ صلاة الفجر، وأخشىٰ أن يكون هذا إصرارًا علىٰ تضييع الصلاة في وقتها، فيكون هذا نذير شرك والعياذ باللّٰه.

أنا أريدك موقنًا بما في يد اللّٰه، أريدك موقنًا بأن اللّٰه

هو الرزاق ، أريدك إذا عصفت الرياح قويًا ، تفهم سنن اللَّه الكونية ، وتصبر علىٰ البلاء ، حتَّىٰ يقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا .

بعض الإخوة إذا أصابه شيء من القهر يجزع سريعًا ، وآخرون يقعون في أول اختبار في شهوة ، فإذا فتحت عليه الدنيا شيئًا ما نسي أمر دينه وانشغل بأمر دنياه ، فأين الثبات علىٰ الدين؟ أين الاستقامة علىٰ شريعة رب العالمين؟

إخوتاه ...

إن هؤلاء الذين يتفلتون من الالتزام لأول عارض شبهة ، أو أول وارد شهوة يضيعون قبل ورود العوارض والموارد ، لأنهم مهيئون نفسيًا للوقوع والسقوط .

والعلاج هو اليقين ، هو الثبات حتَّىٰ الممات ، هو العقيدة الصحيحة الصلبة ، والمنهجية في العلم والعمل

والدعوة، وهذا يحتاج إلىٰ صبر وتحمل، ولا يكون ذلك كله إذا لم يخلص العبد في الاستعانة بربه تبارك وتعالىٰ، فالزم.

ثامنًا: عدم إكثار الشكوىٰ وتضخيم المشاكل

فمن مظاهر عدم الجدية في الالتزام: كثرة الشكوىٰ وتضخيم المشاكل وإيجاد المبررات، فدائمًا أبدًا شكاء، لا يرضىٰ، وكل مشكلة صغيرة يضخمها، وهذا من البطالة وعدم الجدية.

وآخر صاحب منطق تبريري، فلا يريد أن يواجه نفسه ويلقي باللائمة عليها، بل يعتذر ويعلل ويبرر، وهو يدري أنه علىٰ غير الحق.

ومنهم من إذا التزم بالدين صار عالة علىٰ الدعاة، ولسان حاله يقول: أنا صنعت ما قلتم لي، فعليكم أن توجدوا لي الحلول لكل مشكلاتي، وهل لما التزمت

التزمت من أجل فلان وفلان؟ أم ابتغاء وجه رب العالمين؟!

فإذا كنت كذلك فتعلم: «إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللهِ»(١) لا تكثر الشكوىٰ خوفًا أن تسخط علىٰ قدر الله، وتلك بلية عظيمة، أعيذك بالله أن تقع فيها.

أريد أن تتعلم أن تلجأ إلىٰ الله، لا تتوكل علىٰ أحد سوىٰ الله، والله هو القادر علىٰ أن يدفع عنك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

إخوتاه...

اعلموا أن كثرة الشكوىٰ وتضخيم المشاكل وإيجاد المبررات سبيل للنكوص ولا بد، واستصحب دائمًا هذه

---

(١) تقدم تخريجه.

النصيحة النبوية الذهبية «واستعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ»[١]

«واعلَمْ أن الأمةَ لو اجتمَعتْ علىٰ أنْ ينفَعُوك بشيءٍ لمْ ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لكَ ، ولو اجتمعُوا علىٰ أنْ يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ عليكَ ، رُفِعتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحُفُ»[٢] .

* * *

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٦٤) «كتاب القدر» ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله .

(٢) أخرجه : الترمذي (٢٥١٦) ، «كتاب صفة القيامة» .

نصيحة أخيرة

أريد بعد هذا كله أن أسألكم سؤالًا حتميًا، وأرجو أن يجيب كل واحد منكم نفسه بصدق، هل أنتم جادون في طلب الخلاص مما أنتم فيه؟ وما الدليل علىٰ هذا؟!!

كما قلت لكم من قبل: وقفة جادة مع النفس، والتزام بمنهج واضح في العلم والعمل والدعوة، واعتبار ذلك فرضًا حتميًا لا ينبغي الحيد عنه، وقفة لا تقبل التأجيل، وقفة جادة من الآن.

قل لنفسك: منذ متىٰ وأنا ملتزم؟ فماذا قدَّمت لدين الله؟!

هل أنا أعمل لله أم من أجل نفسي؟!

ثم بعد أن تمحص نيتك لا تفتر، ولا تقنط، بل

عليك أن تسعىٰ في العلاج بقوة، انتهز أوقات النشاط في مضاعفة الطاعات.

وسأقترح الآن عليك منهجًا تربويًا عمليًا تقوم فيه بترويض نفسك علىٰ طاعة اللَّه:

أولًا: احفظ كل يوم ولو عشر آيات، وارتبط بمقرأة لتتعلم أحكام التلاوة، وإذا كنت أتقنتها فحافظ عليها من أجل أن تكون من القوم الذين يجتمعون في بيوت اللَّه لتلاوة القرآن ومدارسته فتحفهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة ويذكرهم اللَّه فيمن عنده.

ثانيًا: حافظ علىٰ أذكار الصباح والمساء، وأكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والصلاة علىٰ النبي ﷺ.

ثالثًا: تحافظ علىٰ درس علم أسبوعي مرة أو مرتين في كل أسبوع.

رابعًا: أن يكون لك حظ من قيام الليل، وابدأ الآن

بركعتين خفيفتين ، ثم ابدأ في الزيادة شيئًا فشيئًا ، ولا يلهينك الشيطان عن هذا الورد ، إن لم تكن تحفظ فأمسك بالمصحف وصل ، واعتيادك ذلك سيكون عونًا لك على الحفظ بإذن الله ، لأن القراءة من حفظك لها شأن آخر .

خامسًا : امكث في المسجد بعد صلاة الفجر إلى أن تشرق الشمس ، وصل ركعتي الضحى لتكتب لك كل يوم أجر حجة وعمرة تامة تامة .

سادسًا : اجلس بين المغرب والعشاء لتنتظر الصلاة بعد الصلاة فإنها من أعظم الكفارات ، ترفع بها الخطايا وتعلى الدرجات .

وهكذا ، ابدأ في زيادة الطاعات والقربات لتحصن نفسك ، أما إذا لم يؤثر فيك كل ذلك ، وإذا لم تجد من نفسك القوة والرغبة والإصرار على بذل الجهد لله ، فاعلم أن قلبك مات ، فادع الله يرد عليك قلبك المطموس .

إخوتـاه ...

انظروا لحال السلف الصالح، وكيف كانت أشواقهم تطير بهم إلىٰ طاعة الله تعالىٰ؟ كيف كانوا يتغلبون علىٰ الفتور، والكسل بالشوق والخوف؟

يقول ابن القيم في كلام غالٍ ثمين لو تأملته:

«إذا جنَّ الليل وقع الحرب بين النوم والسهر، فكان الشوق والخوف في مقدمة عسكر اليقظة، وصار الكسل والتواني في كتيبة الغفلة، فإذا حمل الغريم حملة صادقة، هزم جنود الفتور والنوم فحصل الظفر والغنيمة، فما يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان وما عند النائمين خبر»[1].

فأين شوقك لرضا الله؟ أين وجل قلبك وقد أمهلت كثيرًا؟ وما نهاية ذلك إلا سوء الخاتمة؟

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٧٥٢).

فلماذا تأكلك الغفلة؟ لماذا صرت أمير الكسل؟

إخوتــاه ...

إننا نحتاج إلىٰ إخوة جادين في كل شؤون حياتهم ، تبدو عليهم تلك السمات في أفعالهم ، جادين في تفكيرهم ، الهمُّ الأول عندهم هو الدين ، ثم تأتي سائر الهموم بعد ذلك ، فلا شيء يقدَّم علىٰ دين اللَّه .

في «صحيح البخاري» عن الأسود بن يزيد النخعي قال : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة[1] .

فهكذا فقس نفسك ، هل إذا قيل لك : حي علىٰ الصلاة حي علىٰ العمل الصالح ، حي علىٰ حضور

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦) «كتاب الأذان» ، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة وخرج .

درس العلم النافع ، حي على الإنفاق في سبيل الله ، فما بالك حينها ؟! يقول تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩] .

إخوتاه ...

يخيل إليّ أنني لو راجعت كل واحد منكم فسرد لي قائمة اهتماماته لاستحييت من ذكرها ، أمور تافهة لا قيمة لها تشغل تفكيرك ، وربما تحول بينك وبين الله ، ونحن موقنون أن الله يعلم السر وأخفى ، وأن الله عليم بذات الصدور ، ولكن رُفِعَ الحياء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أين حياؤك من الله العزيز القهار ؟! أين وجل قلبك من العلي الكبير المتعال ؟!

بل لو قلنا . . . إنه لو قدر لبشر أن يعرف ما بداخل صدر أخيه تخيل ماذا يحدث . . . لوقع الجميع في حرج شديد، فما بالك ياأخي تستحيي من الناس ولا تستحيي من الله وهو معك؟!!

فابدأ - أخي - من الآن إجراء هذه العملية الضرورية، عملية تطهير للأفكار، نريد جدية في الاهتمامات، إن بعضنا يكاد يقتل نفسه من كثرة التفكير، يفكر في وضعه بين الناس كيف يفكر الناس فيه؟! ماذا يقول الناس عنه؟! ولعله لم يخطر للناس على بال، يفكر في آخر الشهر، ويفكر في الملابس والمظاهر، ويفكر في الزواج، ويقتل هذه القضية بحثًا وتفكيرًا عميقًا، ويفكر في العمل ويفكر في زيادة الدخل، تفكير مقتول لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه، ولو شغل نفسه بحاله مع الله لكفاه، حينئذ عليك أن تردد في نفسك: ماذا أنت فاعل بي ياغفار الذنوب؟ وما اسمي عندك ياعلام الغيوب؟.

فلا تهتم كثيرًا بالناس ، وأصلح ما بينك وبين رب الناس يكفيك اللَّه أمر الناس .

تجد بعضهم يقع في مشكلات نفسية كثيرة وعندما تفتش عن الأسباب تجدها أمورًا تافهة ، وهذا حال أهل البطالة سافلو الهمة ، أما النفوس العُلْوية لا تنظر لمثل هذه السفاهات ، وإلا أخل ذلك بها ، لكنه فراغ القلب من الهم الأخروي .

أما أهل الهمة العالية ، والجادون في التزامهم فإنهم مشغولون بأمور أخرى ، مشغول بحفظ القرآن ، بالدعوة إلى اللَّه ، بكيفية إصلاح فساد قلبه ، مشتاق لسجدة يقبلها اللَّه منه ، مشتاق لتسبيحة يشعر معها بحلاوة الإيمان ، هذا شأن عباد اللَّه الصالحين ، فمن أي الفريقين أنت ؟!

أخي الحبيب ...

منذ كم وأنت ملتزم؟ فماذا صنعت؟ هل ذقت حلاوة الإيمان أم لم تشعر بها بعد؟

هل تنقل قلبك في رياض الإيمان فشعرت بالسعادة الحقيقية؟ واحسرتاه على من قضى عمره في وهم كبير شيده في ذهنه ، ووضع له السياج اللائق به ، فكذب على نفسه ، ثم استمرأ الكذب فخادع نفسه ، فصدّق كذبه!!

وإنّ أخشى ما أخشاه أن يكون التزامك هذا وهمًا ، ولا أراني أشعر بأفعال تطيح بهذا الهاجس المقلق من نفسي على شباب الصحوة!!

إذًا هذه قضيتك الأولى ، **هل أنت ملتزم أم لا؟**

هل اعتاد لسانك الذكر فصار رطبًا منه؟ هل اعتادت جوارحك القيام بأداء حقوق الله فصرت تشعر بالوحشة إذا لم تؤد شيئًا ولو يسيرًا منها؟

إنه إدمان الطاعة ، حينها تجد الرجل يقول : الصلاة صارت تجري في دمي ، لا أستطيع أن أترك ورد القرآن ، أشعر بأني لا أتمالك نفسي حين أسمع الأذان حتى أصل إلى المسجد ، وهكذا ساعتها تعيش الإسلام

لأنه يعيش فيك ، فتحفظ من التفلت والانتكاس .

إخوتـاه ...

تبدو أوضح مظاهر الجدية في التعامل مع الأوقات ، كثير من الناس يشتكون من قلة الوقت ، وضيق الوقت ، وهذا دليل على عدم الجدية .

يقول أبو إسماعيل الهروي صاحب «منازل السائرين» والتي شرحها ابن القيم في «مدارج السالكين» في تعريف اليقظة : هي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين ، وهي على ثلاثة مراتب :

١- لحظ القلب إلى النعمة على اليأس من عدها ، والوقوف على حدها ، ومعرفة المنة بها ، والعلم بالتقصير في حقها .

٢- مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها ، والتشمير لتداركها ، والتخلص من رقها ، وطلب النجاة بتمحيصها .

٣- معرفة الزيادة والنقصان من الأيام، فيلتزم الضن[١] بالأنفاس، وتعمير باقيها، واستدراك فائتها.

هنا محل الشاهد، فهذا هو الملتزم الحق، الذي دفن جاهلياته، وشمر عن ساعد الجد لاستدراك ما فاته طيلة عمره.

وسنة الله الكونية على أنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، فالطالب في الكلية عندما يلتزم يندم على التفريط في أيام الثانوية، والذي يتخرج يندم على التفريط في أيام الجامعة، والذي يتزوج يتحسر على أيام ما قبل الزواج، وهكذا.

فاليوم الذي يذهب لا يأتي مثله، مصداق ذلك حديث أنس بن مالك في «البخاري» مرفوعًا إلى النبي

---

(١) الضن: يقال: «ضنَّ بالشيء» أي: بخل به. اهـ «مختار الصحاح».

ﷺ : «لا يأتي عليكم زمانٌ إلا والذي بعدَه شرٌ منه، حتىٰ تلقَوا ربكم»[1].

فانتبه إلىٰ الجدية في التعامل مع الأوقات، لا تضيع وقتك فيما لا ينفعك غدًا، كل نَفَسٍ من أنفَاسك محسوب عليك.

الإمام ابن عقيل الحنبلي - شيخ ابن الجوزي - يقول:

«أنا لا أحل لنفسي أن تضيع لحظة من عمري، فأنا إما أكتب، وإما أقرأ، وإما أطالع، وإما أدرك، وإما أصلي، وإما أذكر، أو أتذاكر، حتىٰ إذا تعبت فأرقد علىٰ جنبي وأسرح بخيالي في مسائلي، فإذا عنّت لي مسألة قمت وكتبتها».

وهذا الإمام أبو حنيفة: في سياق الموت وتلاميذه

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٨) «كتاب الفتن»، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه.

حوله قال : «هلم مسألة ، تعالوا نتدارس مسألة ، قالوا : وفي مثل هذه الحال؟ قال : لعله ينجو بها ناج» .

هكذا أخي فإنك لن تعدِمَ الوسيلةَ ، فإما أن تحفظ القرآن ، أو تقرأ في كتب العلم ، أو تسمع شريطًا ، أو تخرج في زيارة لشيخ أو زيارة لمكتبة ، أو زيارة لشخص تدعوه إلىٰ الله . . . وهكذا . لا تكسل ، لا تمل ، لا تفتر .

عليك بالاقتصاد في الهزل والمزاح :

لقد صار الهزل وكثرة الضحك شعار الشباب في هذه الأيام ، وليست المشكلة في الدعابة اليسيرة ، والمزاح القليل الذي لا يخرج عن حدود الأدب ، وإنما في هذا الإفراط والمبالغة ؛ حتىٰ إن بعض الشباب يقلِبُ أكثرَ المواقفِ جديةً إلىٰ هزل وفكاهة ، والذي لا يصنع هكذا يتهم بأنه مصاب بالجمود والانغلاق . . . إلخ .

آه . . . للأسف الشديد ونحن في ذلة وصغار

واستضعاف صرنا نعبث ونلهو حتَّىٰ كأن العصر هو عصر الهزل، والآن هناك أماكن مخصصة للضحك، مسرحيات بالساعات للضحك واللهو والعبث، وكل ذلك بالكذب .

أين الجد في حياتنا يا شباب الإسلام؟

الذي يحلِّق ببصره ويطوف شرقًا وغربًا ليرىٰ حال المسلمين لا يمكن أن يكون هذا حاله .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث :

فأمَّا الذي أبكاني : ففراق محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، وموقفي بين يدي اللَّه عز وجل يوم تكون السريرة علانية، فلا أدري إلىٰ النار أصير أم إلىٰ الجنة .

والذي أضحكني : من يؤمِّل الدنيا والموت يطلبه،

وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه فلا يدري أرضي الله عنه أم سخط.

سؤال حقيقي: علام تضحك؟

لو استشعرت نظر الله إليك حقيقة لاستحييت في أكثر الأوقات أن تضحك، ولو علمت حق العلم لكثر بكاؤك وندر ضحكك، قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»[(١)].

وفي النهاية وقبل أن أفارقك هلم إلى معنى الجدية الحقيقي؛ تعال معي إلى حقيقة الجدية:

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاج عدم الجدية

١- الجدية في أخذ قضايا الإسلام:

مع شديد الأسف؛ ترىٰ بعض الملتزمين يصادق ويصاحب، ويحب، ويوالي بعض العصاة والمذنبين، إنني اعتبره منظرًا مشينًا حين أرىٰ أحد الإخوة يجلس في النادي أو في قهوة أو حتىٰ يقف في الشارع وحوله مدخن ومدمن ومجاهر بفسقه ومعاصيه، وقد تقول أحسن به الظن: لعله يدعوهم، إن كان هذا فحسن، أما أن يعلو صوت قهقهته وسط قهقهاتهم، ومشاركتهم في نكاتهم وغفلتهم فهذا هو المشين.

وما كان هذا إلا لأن قضاياه الأساسية في الإسلام غير جادة، فأين الحب في الله والبغض في الله؟ وأين الولاء والبراء؟ وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ومثل ذلك لا يقل عنه مصاحبة أهل البدع والرضىٰ عنهم ، بل ومجاملتهم وأحيانًا مشاركتهم ودخول مداخلهم .

أخي الملتزم .. حبيب في الله:

إن لك قضايا أساسية في الإسلام يستحيل التفريط فيها مع الالتزام ، أصلها قضايا التوحيد وهي تحتاج إلىٰ مفاصلة ، فلا يصح فيها المداهنة ، ثم قضايا فقهية اندست في العبادات ، فزاد في جانب العبادات – خصوصًا – البدع والمحدثات ، فلابد من الجدية فعلًا في تغيير البدع والتزام السنن ، الجدية في قضية العمل للخلاص من تخلف الأمة واستضعافها للوصول إلىٰ التمكين من القضايا التي تحتاج إلىٰ جد حقيقي .

أخي الحبيب:

إنه الدين إنه دين . . دين رب العالمين ، فقضاياه

كلها جد ، فخذها بقوة واعمل بأحسنها ، واصبر فإن اللَّه لا يضيع أجر المحسنين .

٦- الجدية في طلب العلم :

أيها الحبيب :

لكي تكون جادًا في قضايا الإسلام فلابد من علم لتعلم حجم كل قضية من قضايا الإسلام ، فبالجهل تفرط في أعظم قضايا الإسلام أهمية وأنت لا تشعر .

أخي الحبيب :

بالجدية تزيد كل يوم علمًا وأدبًا .

بالجدية في طلب العلم تزيد كل يوم عملًا .

بالجدية في طلب العلم تزيد كل يوم رسوخًا في إيمانك .

بالجدية في طلب العلم تزيد كل يوم ثباتًا على الحق .

وأقصد بالجدية في الطلب أن يكون لك :

١- منهجًا في كتب .

٢- مشايخ يعلمونك .

٣- زملاء ينافسونك .

٤- مراحل تقطعها فعلًا حقيقة .

إن أمر طلب العلم بجدية أن تكون طالبًا فعلًا كطالب الثانوية العامة أو البكالوريوس : امتحانات ومذاكرة ومذكرات وسهر الليالي ، إن أكثر من يزعم أنه يطلب العلم اليوم يعتمد علىٰ المسائل المشهورة والفتاوىٰ فقط .

إننا بحاجة إلىٰ طالب جاد في العلوم الشرعية حتىٰ يصل إلىٰ درجة مجتهد مطلق ، فالحاجة إلىٰ هذه الدرجة ماسة في هذه الأيام ، والتخاذل واضح من طلبة العلم ، فخذ الأمر أخي بجد وابدأ من الآن ؛ حدد المنهج ،

واشتر الكتب، واتفق مع المشايخ، وفرغ وقتك، واشحذ همتك واجمع همك وأصلح نيتك وانطلق؛ الأمر جد أخي فلا تلعب.

٣- الجدية في تحصيل أعلى درجات الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة»(١).

معلوم لديك أخي الحبيب أن رسول الله ﷺ في سكرات الموت اختار الفردوس حين قال: «بل الرفيق الأعلى»(٢).

ألا تحب أن تكون مع رسول الله ﷺ.

ولكن مجرد حب ذلك ينبغي أن يدفعك إلى عمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٤) عن عائشة رضي الله عنها.

فلكل سلعة ثمن ولكن هل أنت جاد فعلًا في طلب الجنة؟

قال رسول الله ﷺ: «ألا إن سلعة الله غالية»[١].

هل أعددت الثمن وصدق من قال: أول نقدة من الثمن بذل الروح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

أخي الحبيب:

هل ترغب فعلًا في أعلىٰ درجات الجنة؟

هل هذه المسألة محل تفكيرك وشغلًا من مشاغلك، إذًا فما هو عملك للوصول إلىٰ هذا؟ إننا بحاجة إلىٰ الجدية في طلب أعلىٰ درجات الجنة عملًا،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولابد من سلوك طريق التدرج ، فالمسألة إذًا تحتاج إلى وقت والعمر قصير فلابد من الجدية ، إذًا من الآن في سلوك هذا الطريق ؛ جدية في عزيمتك على قيام الليل ، وجدية حقيقية في الصيام ، وألا يكون يوم صومك كيوم فطرك ، جدية حقيقية في حفظ القرآن ، وجدية حقيقية في تلاوة ختمة للقرآن كل أسبوع ، جدية فعلية في تدريب اللسان على دوام الذكر ، وجدية فعلًا في التوبة النصوح من كل المعاصي والذنوب ، جدية في البحث عن كل ما يرضي الله فنفعله وكل ما يغضبه ويسخطه فنتركه .

أخي الحبيب :

هذه هي السبيل الجدية فعلًا تحتاج إلى فعل جدي ، هل أنت جاد في طلب الجنة ؟ هلم .

٤- الجدية في الحرص على هداية الناس.

- هل ذقت حلاوة الإيمان؟

- هل أحسست بالفرق الحقيقي في قلبك بين الحياة مع الله والحياة بعيدًا عنه؟

- هل عرفت قذارة وشؤم المعاصي؟

- هل أدركت عظمة الإيمان وسمو العلاقة مع الله؟

- هل عشت جنة الدنيا في طاعة الله؟

إن كانت الإجابة بلا فأنت ميت، ما زلت لم تعش الحياة الحقيقية، فابك على موتك وقم الآن.. الآن.. الآن أبحث عن حياتك الإيمانية، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أخي: أصدقك القول إذا كنت حتى الآن لم تشعر بما ذكرتُ فأنت غير ملتزم يقينًا.

وإن كانت الإجابة بنعم فهل نقلت أحاسيسك هذه

ومشاعرك تلك لغيرك؟ هل دللته على الخير؟ أم أنك أناني استحوذت عليها لنفسك دون غيرك؟

أيها الحبيب المحب:

إن الذي ذاق لذة الإيمان لا يستطيع الاصطبار حتى ينقل حلاوة الإيمان إلى غيره: لما أسلم أبو ذر قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى قومك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» فقال: والله لا أعود حتى أصرخ بها بين أظهرهم، ودخل الكعبة وقريش في نواديهم فصاح يامعشر قريش: أشهد أن لا إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ فقاموا إليه يضربونه حتى أغمي عليه[(١)].

والطفيل بن عمرو الدوسي لما أسلم قال: يارسول الله إن دوسًا كفرت بربها فارسلني إلى دوس.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهكذا ؛ كل من خالطت بشاشة الإيمان قلبه لا يستطيع السكوت على الحق الذي عرفه ، وخصوصًا من كان خائضًا في الباطل ثم عرف الحق فذاق الفرق .

أخي : هل أنت جاد في ذلك؟ أعني الحرص على إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

إذًا : كم شابًا التزم على يديك؟

وكم عاصيًا تاب بدعوتك؟

إنك بحاجة لأن تأخذ الأمر بجدية ، لأن الأمر جد ، إما جنة وإما نار ، إما حق وإما باطل ، فخيانة منك أن تعرف طريقًا للنجاة وللجنة وتترك الآخرين أمام عينيك يسلكون طريق جهنم .

وإذا أردت الجدية في الدعوة إلى الله تعالى فلابد :

أولًا : من أن تدرس كيف تدعو إلى الله؟

ثانيًا : لا تدعو بغير علم أو إلى ما لا تعلمه .

ثالثًا : لابد في الدعوة من الإخلاص .

رابعًا : شرط الدعوة الصبر وعدم استعجال النتائج .

خامسًا : المفتاح السحري للقلوب حسن الخلق ، والاحسان إلىٰ الخلق ، واحتمال الأذىٰ ، ورد السيئة بالحسنة .

أخي الحبيب :

كن جادًا وخذ الأمر بجد في دعوة الناس للجنة ، وسيستجيبون لك إن شاء الله تعالىٰ .



الخلاصة

خلاصة الكلام في النهاية أننا نريد صناعة الشخصية الجادة لكي تحمل هذا الدين بحق، قال ابن القيم: «يا له من دين لو أن له رجالًا» فنريد:

(١) جديد في الاهتمام والهموم.

(٢) جدية في الأفكار والتفكير.

(٣) جدية في تحويل هذه الاهتمامات وتلك الأفكار إلى أعمال خلاقة.

(٤) جدية في التخلص من كثرة الوعود والأماني مع التسويف نريد عملًا بلا كلام.

فنريد رجلاً:

١- **الرجل الجاد** هو صاحب الهدف الذي يسري في أعماقه وروحه فقد استطاع توحيد القصد والطلب.

٢- الرجل الجاد هو القادر على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت المناسب .

٣- الرجل الجاد يتحمل البرامج الجادة لصناعة الشخصية المتكاملة فهو يتحمل الأعباء والمسئوليات مع عدم الضجر ولا التأفف .

٤- الرجل الجاد صاحب مبدأ : الإصرار على الاكتمال فهو صاحب مبادئ متينة خلاقة دائمًا في شمولية الدين .

٥- الرجل الجاد غير معجب ولا مغرور لا يرى عمله وفضله بل يتطلع دائمًا أن يكون أفضل حتى يبلغ الفردوس .

أيها الحبيب : أخي الكريم :

هذه الجادة فأين السالك ؟

هذه الجادة فأين السالك ؟

❊ ❊ ❊

التزام الغشاشين

أحبتي في الله ...

أحب أو أوجه إليكم سؤالًا محددًا وواضحًا وصريحًا، ويحتاج إلىٰ إجابة قاطعة:

هل الغش حلال أم حرام؟

الغش في امتحانات الطلاب هل هو حلال أم حرام؟

إن أصحاب المنطق التبريري في تبرير جميع الأخطاء سيحاولون إيجاد مبررات الغش بدعوىٰ أن المدرسين لا يشرحون وأن المناهج نظرية . . . إلخ.

وأنا من وجهة نظر شرعية معتبرة أقول:

إنَّ الغش في الامتحانات بجميع أنواعه حرام.

نعم ، إنني وبحرقة وألم أذكر هذا في عصر نرىٰ فيه الطبيب الغشاش ، والمهندس الغشاش ، والتاجر الغشاش والمحاسب الغشاش ، والمدرس الغشاش ، نرىٰ أنواعًا من الغش في هذا الزمان قد تفشت ممن تصدروا لخدمة المسلمين ، والأصل في ذلك أنهم كانوا طلابًا غشاشين يومًا ما كانوا كذلك يوم دخلوا الامتحانات معتمدين علىٰ المذكرات في الجيوب ، وعلىٰ «البرشام» علىٰ أسورة الملابس وعلىٰ المساطر وكل أنواع الغش التي تعرفونها ، فيا من حصل علىٰ شهادة الطب بالغش . . . **الغش حرام** .

ومن هذا المنطلق أعبر إلىٰ الملتزمين فأقول :

أيها الملتزمون ؛ إذا عرفنا أن الغش حرام ، فيا من حصلت علىٰ كلمة ملتزم بالغش . . . **الغش حرام ،** إن الكثيرين حصلوا علىٰ اسم وصفة «شيخ ملتزم» بالغش نعم إنه اتخذ المظهر غشًا ، إنه اتخذ المظهر خداعًا بدون أن يذاكر ويمتحن لينجح .

وكذلك أيتها الأخت المحجبة في الظاهر وقد أسأت في التعامل مع الناس . . . يا من لبست السواد والنقاب بالغش . . . **الغش حرام** .

إخوتي الملتزمين أخواتي الملتزمات :

أحبتي في الله إني - والله - أحبكم في الله ، وليس من نفس خندق الأعداء والمغرضين أنطلق ؛ وإنما أنطلق لكم من قول ناصح أمين بعدما كثر أصحاب اللحى وزادت المنتقبات وامتلأت بهم وبهن الشوارع - والحمد لله - اللهم بارك في الإخوة الملتزمين ، وزد الأخوات الملتزمات .

ولكن . . . هذا هو المظهر . . . فأين الجوهر ؟

هذا هو الظاهر . . . فأين الباطن ؟

هذا هو الوجه المستنير بلحية ، والمغطى بنقاب فأين القلب ؟ أين القلب ؟

وافجيعتاه!! في أخ ذي لحية يسرق أو يخلف الميعاد أو يكذب أو يخون .

وافضيحتاه!! **وافجيعتاه**! في أهل الالتزام حين يقعون في معاصي الله سرًا وجهرًا .

وإنما سر ذلك وسببه - إخوتاه - أنهم حين التزموا اعتنوا بالمظهر ولم يربوا الجوهر، بأن يحصلوا على الشهادة بأن يحرزوا الشهادة بتفوق، نعم؛ تركوا العلم وأقبلوا على كل ما يساعدهم على إتقان المظهر - اللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من أهله .

أقول لمثل هؤلاء : اتقوا الله، فإنما أنتم حملة راية الإسلام .

أختي...

ومع هذا كله فأنا لا أنفي أن بين الملتزمين أمة من الإخوة المحترمين الأكفاء، نعم، أنا لا أنفي أن من بين

الإخوة جمع كبير من المخلصين، ولكن شخص واحد في هذه الأمة يشوه صورة الأمة.

نعم؛ إن امرأة واحدة تشوه الأمة.

وهكذا دأب المغرضين والمنافقين، أنهم إذا رأوا رجلًا واحدًا فقط صاحب لحية يكذب، يصير عندهم كل الملتحين كذابين، وإنهم لو سمعوا صوت امرأة واحدة منتقبة تصرخ، فكل المنتقبات عندهم لا يجدن إلا الصراخ - هذا كلامهم -، ونحن نقول إنها سلسلة قديمة منذ قتل موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلًا ظالمًا نصرة لأخيه، فقال له ذلك اليهودي: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

نعم، إنها قيلت للنبي محمد ﷺ حين قيل له اقتل عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول المنافق، قال: أخشىٰ أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه[١]، إنه سيقتل منافقًا. ولكن سيقول الناس يقتل أصحابه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (٢٥٨٤).

كذلك قد تعمل عملًا تظن فيه الخير ، ولكن يتحدث الناس أنك تفعل وتفعل كذا ، فاتق الله واحذر أن يؤتىٰ الإسلام من قبلك وأن يهاجم أهل الالتزام من جهتك .

وهذا يبين لنا - أحبتي في الله - حاجتنا للتربية صغارًا وكبارًا منذ أن نلتزم حتَّىٰ ندخل الجنة ، نعم ؛ حاجتنا للتربية منذ أول يوم في الولادة وإلىٰ أن نموت .

نعم إخوتاه ؛ حاجتنا لأن نربي رجالًا . . . إننا بحاجة إلىٰ أن نربي رجالًا .

أولًا : لإقامة الحجة علىٰ العباد .

إن كثيرًا من العلمانيين وأعداء الدين ما زالوا يزينون للناس أن الإسلام الدين الذي نزل منذ ألف وأربعمائة سنة علىٰ أعراب يعيشون في البادية وفي الصحاري ، يتبعون القَطَم (١) ويرعون الأغنام ، كيف يصلح هذا

---

(١) «القطم» ، بالتحريك : شهوة اللحم والضراب والنكاح . اهـ «لسان العرب» .

الدين لقوم يعيشون في القرن العشرين، وصلوا إلىٰ القمر، وغزوا الفضاء، وعندهم الإنترنت والكمبيوتر؟

إنهم يزينون للناس هذا الكلام، يقولون كيف نعيش بلا موسيقىٰ؟ وكيف نعيش بلا مسرح؟

ويريد أصحاب الدعوات الفارغة الغافلة أن يوافقوهم، فيزعمون أن الإسلام فيه مسرح، وفيه موسيقىٰ، والإسلام فيه سينما . . . ، وهكذا فيزينون أباطيل أعداء الدين من حيث لا يشعرون، أو لأنهم هكذا يفهمون.

إخوتاه ...

أولًا: إننا بحاجة إلىٰ أن نقيم الأخ الذي يتبع أثر النبي محمد ﷺ حذو القُذَّة بالقُذَّة، فحينها نقيم الحجة علىٰ العباد.

نعم؛ حينها نثبت للناس أننا نستطيع في القرن

العشرين أن نعيش بلا موسيقىٰ وبلا مسرح وبلا سينما ، نستطيع أن نعيش لله الملك القيوم ، أن نعيش عبادًا لا أصحاب أهواء ، أن نعيش عبيدًا لا أتباع شهوات ، أن نعيش لله لا لذواتنا ، ولا لأنفسنا .

فكونك تتربىٰ علىٰ التخلص من رواسب الجاهلية أولًا ، وعلىٰ الفهم الصحيح للإسلام ثانيًا ؛ حينها تستطيع أن تقيم الحجة علىٰ العباد فتكون شهيدًا علىٰ الناس ، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، نعم شهداء .

إخوتاه ...

إنه لا تكفي القناعة العقلية ولا الحماسة القلبية وحدهما ولكن ؛ لابد أن يضاف إلىٰ القناعة العقلية علم يضبطها ، وأن يضاف إلىٰ الحماسة القلبية يقين يحملها .

نعم ؛ لابد من اليقين ؛ لأنك إذا عشت باليقين فإنك ترىٰ ، وإذا رأيت كنت شاهدًا ؛ حيث إن الشاهد

لا يشهد إلا إذا رأى ، وإلا كان كاذبًا مع نفسه قبل أن يكون كاذبًا مع الآخرين .

ثانيًا : نريد أن نربي رجالًا ؛ لإقامة النموذج وتوسيع القاعدة .

نعم إن كل من كبروا وضَلُّوا قالوا : إنهم لم يجدوا القدوة والأسوة ، إنهم لم يجدوا الإمام الذي تلتف حوله قلوب الأمة .

اللهم ارزقنا رجلًا ربانيًا تأتلف حوله القلوب ، وتلتف حوله الأجساد .

نعم إخوتاه ؛ الكل يتعزى بهذا : إننا لم نجد الرجل الكبير الذي تلتف حوله الأمة ، وهذا الرجل لا يجتمع إلا في شخص خليفة المسلمين ، أمير المؤمنين ، وهذا الرجل في حال فقده الآن فإنه ينبغي - إخوتاه - وهذا منهجنا وطريقنا - إيجاد أهل

الحل والعقد من المسلمين لتنصيب الخليفة، فمن هم أهل الحل والعقد؟

حتمًا ولابد هم العلماء والأمراء، فأين العلماء؟

إنك إذا أردت أن تعمل للتمكين فابدأ بأن تعد نفسك لتكون من أهل الحل والعقد، لتكون ممن يقيمون حجة اللَّه على الخلق، إننا بحاجة إلى إقامة النموذج الإسلامي الذي يتمثل في شخص النبي محمد ﷺ وليس لنا أسوة غيره، وليس لنا قدوة غيره، ولا إمامٌ سواه، ولا متبوعٌ إلا هو ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

إننا بحاجة إلى صناعة الرجل النموذج، النموذج في أخلاقه، النموذج في عباداته، النموذج في معاملاته، النموذج في بيته، النموذج في الشارع، النموذج في المصنع، النموذج في الجامعة.

إننا بحاجة لإقامة النموذج الذي إذا رؤيَ ذُكِر اللَّه، رجل إذا رُؤِي يقال: هذا هو الإسلام.

إننا بحاجة إلىٰ إقامة النموذج لتتَّسع حوله القاعدة.

ثالثًا: نحن بحاجة إلىٰ تربية الرجال لمواجهة الطغاة، فإننا نواجه كفرة وفجرة عتاة.

إننا نواجه ثعالب البشرية من يهود وغيرهم ممن يرفعون غير راية لا إله إلا اللَّه، فلا يمكن أن نلقاهم بشخصيات هزيلة، لا يمكن أن نلقاهم بعقول فارغة، لا يمكن أن نلقاهم بقلوب مِلْؤها الشهوات، لا يمكن أن نلقاهم بشخصيات قد تشبهت بهم في الملبس والمأكل والمدخل والمخرج، كيف؟ كيف؟!!!

إنه نوع من أنواع الصد عن سبيل اللَّه، ومن هنا قال فرعون وملؤه لموسىٰ وهارون ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

إننا بحاجة أن نقيم الإسلام بكل جزئياته وحروفه في أنفسنا وفي أهلينا وذوينا ومن حولنا ؛ حتىٰ لا يقال لنا : وقومكم لنا عابدون ، إنك حين تنادي بالإسلام صرخة ، فإنك تنادي بالإسلام آية ، تنادي بالإسلام قدوة ، تنادي بالإسلام مجموعًا ، فإنك تخشىٰ أن يقال لك : وقومك لنا عابدون .

فإننا بحاجة إلىٰ إخراج قومنا أول شيء ؛ أبوك ، وأمك ، وزوجتك ، وأولادك ، أخوك ، وأختك ، كذا علَّم اللَّه نبيه محمد ﷺ فقال : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

نعم ؛ لابد من إقامة الشخصية المسلمة القوية التي تستعصي علىٰ محو الهوية .

إننا بحاجة إلىٰ استخراج الشخصية المسلمة القوية التي ضربت بجذورها في أصل الإسلام ، فامتنعت عن غسيل المخ ؛ لأن العقيدة الإسلامية ملأت العقل والقلب .

إننا بحاجة إلىٰ إقامة وتربية الرجل المسلم ، الذي يجر جحافل الكفار إلىٰ حظيرة الإسلام .

إخوتي في اللَّه . . . أحبتي في اللَّه ، إني أحبكم في اللَّه ، ولكن . . . اعلموا أنَّ منكم منفِّرين .

نعم ؛ قد يكون أحدنا قد ترك العمل الحرام للَّه فعمل سباكًا أو نقاشًا أو غير ذلك من المهن الحرة ، وهو ممن لا يحسن الصنعة فيدخل البيوت فيفسد ، ويخلف الميعاد ، ويأخذ الأجر بغير وجه حق ، أو بسيف الحياء فيشتهر عن أصحاب اللحىٰ أنهم لصوص ، يخدعون الناس .

وقد يكون أحدنا ترك العمل الحرام ، واشترىٰ « تاكسي » أو سيارة « ميكروباص » ، هنا المظهر الإسلامي وهناك الخلق الجاهلي فيجمع بين نقيضين ، فيكون منفرًا .

وقد تكون الضغوط علىٰ أحدنا كثيرة ؛ في البيت ، في

العمل ، في الدراسة ، والأفق لا ينذر بفجر ولا يبشر بخير ، فيكون من ذلك سوء خلقه مع أبيه وأمه ، سوء خلقه مع زوجته وأولاده وأصهاره وجيرانه صد عن سبيل الله .

إن الواحد منا ليستحي حين ينظر إلىٰ صاحب لحية وهو يقف علىٰ محطة «الأوتوبيس» أو «الميكروباص» ، وهو ينظر إلىٰ الرائحة والغادية !

غض بصرك يا عبد الله ، غض بصرك يا عبد الله ، اتق الله ، أشمتَّ بنا الأعداء ، إنها مأساة .

اتق الله ، صددت عن سبيل الله ، كن قدوة .

اتق الله ، تعلم والتزم لله .

إننا بحاجة إلىٰ جر جحافل الكفار إلىٰ حظيرة الإسلام ، وهذا لا يكون أبدًا إلا إذا التزمنا نحن بالإسلام ، فرأونا صورة للإسلام .

إن الذي يذهب إلىٰ الحج - اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام ، اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة ، اللهم اجمعنا

علىٰ عرفات هذا العام - إن الذي يمضي إلىٰ هناك يرىٰ الحجاج من جنوب شرق آسيا يستبشر بعددهم، فإن أعداءنا الذين سيحاربون الإسلام (وجوههم كالمجان المطرقة)[١] هم هؤلاء، هم هؤلاء أصحاب الوجوه العريضة، فنفرح بهم، وحين نعلم أنهم دخلوا الإسلام عن طريق تجار المسلمين دون أن يدعوهم أحد إلىٰ الإسلام، ولكن من مجرد المعاملة أحبوا الإسلام ودخلوا فيه، هنا تعرف قيمة المعاملة.

وكيف نعامل الناس فيحبون الإسلام من خلالنا؟ إننا حين نجر جحافل الكفار إلىٰ الإسلام لا نحتاج أن نقيم عليهم الحجة العقلية أولًا، إنما نحتاج أولًا أن يروا منا أن الإسلام دينٌ أحقّ أن يتبع، فحين يعجبون به يبحثون عنه وحين يعرفونه حقيقة يقتنعون به فيعتنقونه.

يحكون قصة رجل، هدىٰ الله علىٰ يديه رجلًا فيكتبون في العنوان:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٦٩)، ومسلم (٢٩١٢).

لم يكلمه، ولم يره، ولم يعلمه، ولكن هداه الله على يديه.

يحكي مهندس ألماني كبير أسلم: أنه كان يومًا ما يسير في أحد أزقة وشوارع ألمانيا في مكان ضيق، فاصطدم برجل فوقع المهندس على الأرض، فمد الرجل يده حتى أقامه، فإذا بالرجل أعمى وله لحية كبيرة، يقول المهندس الألماني: وأنا من فرط حيائي لكونه أعمى وأنا اصطدمت فيه، وظل واقفًا وأنا وقعت على الأرض، من فرط حيائي لم أتمكن من أن أفلت من يديه، فقد ظل قابضًا على يدي حتى أخذني معه وأدخلني إلى بيته، ثم وضع أمامي كل الطعام الذي في بيته وهو يتكلم العربية وأنا أتكلم الإنجليزية والألمانية، فلا أفهمه ولا يفهمني، ثم أجلسني في بيته ووضع الطعام وأقبل على الصلاة يصلي، وأنا أنظر إليه مندهشًا.

فلما قدر لي أن أعمل في دول الخليج في بلاد

المسلمين ورأيتهم يصلون ، قلت : ما هذا؟ قالوا : هذه صلاة المسلمين ، قلت : هذا الذي رأيته مع الرجل الكريم .

قلت : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه .

إن كثيرًا منا قد يصدم عجوزًا في الطريق ثم لا يكلف نفسه أن يلتفت فيعتذر ، إن كثيرًا منا في المسجد قد يدوس على قدم أو كتف رجل ، لعله يدخل المسجد لأول مرة ثم لا يكلف نفسه أن يربت على كتفه ويقول له : أنا آسف ، وتلك أخلاق الإسلام أليس كذلك؟

إن كثيرًا منا حين يجلس يمد رجله ، أو حين يمر فيطأ بركبته في ظهر أخيه ، ثم لا يكلف نفسه أن يقول كلمة لطيفة ، بل إن الإسلام يأمرنا بأكثر من ذلك ، إنك إذا آذيت أحدًا تخرج من جيبك هدية وتستسمحه لكي يسامحك ، وإلا فحقه سوف يأخذه منك في الآخرة .

أين القدوات؟ أين الأخلاقيات؟ أين الأصول في المعاملات .. أين .. وأين؟

كيف يهتدي بنا الناس ونحن أسوأ الناس خلقًا كيف؟

إننا بحاجة إلىٰ تربية الرجال؛ لنستخرج بهم جحافل الكفار وندخلهم إلىٰ حظيرة الإسلام، تلكم قضايا خطيرة ومهمة.

إننا بحاجة إلىٰ صناعة الرجال، لماذا؟ لنقف بهم في وجه العلمنة، لنقف بهم في وجه هؤلاء «الأرستقراطيين» الذين يقولون: إن الملتزمين هم حثالة الأمة، الذين هم من أدنىٰ درجات الأمة، ولكننا نقول: إن هؤلاء هم أتباع الرسل.

لما قال قيصر لأبي سفيان سائلًا إياه عن أتباع النبي محمد ﷺ: أأتباعه هم أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟

قال : بل ضعفاؤهم .

قال قيصر : وهؤلاء هم أتباع الرسل[1] .

ولكنهم أصحاب أخلاق عالية وآداب مثالية .

أنتم أتباع الرسل ، أنتم يا أصحاب المنازل البسيطة والدرجات البسيطة ، تعلون بأخلاقياتكم على كل أهل الأموال والترف ، فأين الأخلاق؟ وأين إقامة الحجة على الناس؟

لذلك فإننا بحاجة لإقامة الرجال ، ولكن كيف نقيم الرجال؟

أولًا : بوجود اليقين القلبي والعلم الشرعي .

ثانيًا : صناعة الشخصية الربانية .

ثالثًا : معرفة السنن الربانية .

إن سادة البشرية – وهم الأنبياء – ربَّاهم اللَّه ، نعم ،

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٧) ، ومسلم (١٧٧٣) .

رباهم الله على عينه. قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

إن الله عز وجل يجعل رسالته حيث أراد، فاختار خيرة الخلق وأفضل الخلق وأحسن الخلق، وهؤلاء اصطفاهم ورباهم على عينه منذ صغرهم، ابتداءً من آدم عليه السلام، ومرورًا بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم وعلى نبينا السلام - وصولًا إلى سيد البشر محمد ﷺ.

***

وختامًا

أسأل الله العلي الكبير أن تكون هذه الرسالة سبيلًا للمؤمنين للرجوع إلى الجادة، ونفض هذا الغبار الذي لطخهم، لنتعاون جميعًا لنصرة دين الله تعالىٰ.

وما كان من خطإ أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله أن أذكركم بالله وأنساه، فاللهم اجعل كلامنا هذا حجة لنا لا علينا، واربط علىٰ قلوبنا، وعمنا برحمتك، فأنت أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

وكتبه

محمد بن حسين يعقوب

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

محتويات الرسالة

* * *


موقع الربانية
www.yaqob.com
الجِدِّيَّةُ في الإلتزام